اللِّقَاء بَين الزَّوجَين

في ضَوء الكِتَاب والسُّنَّة



تأليف:
عبد القادر أحمد عطا

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



اللقاء بين الزوجين

اللِّقاءُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ

فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّة

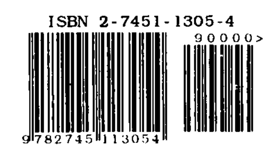
تـأليف

عبد القادر أحمد عطَا

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



ISBN 2-7451-1305-4



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٧٨٥٤٢ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ere Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

« ان الله لا يستحيي من الحق ».

« لا حياء في الدين ».

وحينما تشتد الأزمات بين الأزواج، ويتزايد عدد الناشزات من الزوجات، والكارهون من الأزواج، فان السبب الحقيقي يكمن غالبا وراء مشكلات عاطفية أو جنسية، أو وراءهما مجتمعين.

ولكن الحياء يغلب على المرأة أن تعلن الحقيقة... فتصطنع أسبابا أخرى مما لا يصلح سببا لهدم علاقة زوجية مقدسة... ثم تتعقد النفوس، وتستعصى المشكلات، ويحاول الناس علاجها علاجا ظاهريا، ويبقى أصل الداء يعمل في المجتمع.

ولقد عنيت شريعة الاسلام عناية فائقة بهذه العلاقة بين الزوجين، وحددت لها المنهاج الناجح، وبقي على العلماء أن يجمعوا هذا المنهاج في كتاب، فلعل الله يجعل للمجتمع فيه مخرجا من المشكلات الزوجية، ولكنهم لم يفعلوا حياء وتعللاً بحجج واهية لا تساعدنا على موافقتهم.

ولقد تكلم علماء صلحاء وعظماء في علاج مشكلة سرعة القذف التي تجعل الارواء من جانب واحد، وترك الجانب الآخر يعاني ويصنع المشكلات، ومنهم السيد مرتضى الزبيدي، وابن القيم، وابن الجوزي، وغيرهم.

لهذا أخرجنا هذا الكتاب الأول من نوعه، فلعل فيه علاجاً للكثير من مشكلات الزوجية، وطمأنينة ومودة ورحمة بين الزوجين، والله الهادي الى سواء السبيل، والموفق لما فيه خير المسلمين.

القاهرة في غرة شوال سنة ١٤٠٠ هـ.
١١ سبتمبر سنة ١٩٨٠ م.

عبد القادر أحمد عطا

ورع كاذب... وحياء مزيف

حينما يتورع المفكرون الاسلاميون عن الخوض في مسائل لم يتورع عن الخوض فيها رسول الله ﷺ وأصحابه، فإن ورع هؤلاء المفكرين ورع كاذب.

وحينما يستحيي هؤلاء المفكرون من ذكر أمور لم يستح رسول الله ﷺ وأصحابه من ذكرها، فان حياءهم حياء مزيف.

ولقد تكلم رسول الله ﷺ في مسائل العلاقة الجنسية بين الزوجين، وأجاب السائلين عن دقائقها رجالا ونساء، بل وأمر بعض أمهات المؤمنين أن ترشد امرأة الى شأن من أخص شؤون النساء، لا يجوز لرجل أن يتحدث به الى امرأة.

وهنا كان حياء رسول الله ﷺ وورعه، ولم يكن من حيائه ولا ورعه أن يغلق هذا الباب في وجه من يطرقه، فلا يتحدث فيه، ولا يأذن للغير أن يستفتوه في مسائله ومشاكله، وانما كان يقف به الحياء عن مواصلة الحديث حينما يكون متصلا بمواطن لا تحتمل الكناية ولا التورية، وحينئذ كان يحيل السائلة الى احدى أمهات المؤمنين حيث يجوز بينها وبين السائلة ما لا يجوز بينها وبين رجل.

هذا هو الحياء حيث يجب الحياء، وحيث يجب أن تكون الحدود مرعية بين الرجل والمرأة، أو حيث يكون خدش حياء المرأة مقدمة لخدش عفافها

اذا تكرر القول الحرج بين الرجل والمرأة على هذا الضرب من الصراحة واقتحام الأسرار.

ولكن شيوخنا ـ عافاهم الله ـ أغلقوا هـذا البـاب، وحـامـوا حـولـه، فتحدثوا عن أدب الخطبة، وأدب الزفاف، وأفاضوا في الحديث، وعن واجبات كل من الزوجين نحو الآخر في كل شيء الا في العلاقة الجنسية، فقد مروا عليها مرور الكرام الورعين أهل الحياء، الذين يرتفعون بالاسلام ـ في زعمهم ـ أن يعني بهذه الغريزة الحيوانية وهو دين الحياة العالمية الآمنة.

ما هي العيوب الجنسية التي يمكن أن تقضي على الحياة الزوجية عند كل من الرجل والمرأة؟

كيف تعالج العيوب النسائية التي تنتهي الى الطلاق أو اتخاذ الخليلات؟

ما أبعاد السكن الذي شرع من أجله الزواج؟

كيف تهدم المرأة هذا السكن على جهل وغباء؟

كيف تكون المرأة لباسا للرجل، والرجل لباسا للمرأة؟

كيف يمزق الجهل هذا اللباس، ويحيله الى خرق بالية تفضح ما وراءها، ولا تستر المستجير بها؟

كيف تنحصر عين الرجل وعاطفته في واحدة، وتنحصر عين المرأة في واحد؟

هل يعتبر الجهل بأصول العلاقة الجنسية الاسلامية بين الأزواج وراء التهتك والبغاء تحت ستار الزوجية، ووراء بدعة الرفيقة والرفيق الى جوار الزوجة والزوج؟

كل ذلك وأمثاله أغمض عنه شيوخنا عيونهم المباركة الورعة التقية النقية، فاذا ما تحدث أحد الناس أمامهم بمسألة من هذه المسائل قلصت وجوههم، واستعاذوا من هذا الشيطان المريد الذي يلصق بالاسلام مسائل الحيوانية، ويهمل منه معالي الملائكية.

ونحن نسأل بدورنا: هل يريد هؤلاء أن يقولوا: انهم أعرف بالحياء ومواطنه من رسول الله ﷺ؟

هل عرفوا من مقاصد الاسلام ما لم يعرفه سيد المرسلين ﷺ؟

هل أخطأ النبي ﷺ حينما أجاب السائلين وأرشد الحائرين في هذه العلاقة التي يقوم عليها بناء الأسرة والعشيرة والأمة في الاسلام؟

قال الشيوخ المتوقرون المتورعون أهل الحياء: ان الافاضة في هذه المواضيع يعطي لأعداء الاسلام سلاحاً قاتلاً، يستغلونه في الدعاية المسمومة زاعمين أن الاسلام يعنى بالغرائز، ويجتذب اليه الناس عن طريقها.

وقالوا: ان الحيوان فضلا عن الانسان ملهم بغريزته كيف يمارس هذه العملية دون حاجة الى مزيد من الارشاد.

وقالوا: أتريدون أن تعيدوا الى الفكر الاسلامي بدعة التبذل والفحش المتمثلة في كتب الجنس الداعرة التي كتبها العلماء الأقدمون؟ أم تريدون أن تنافسوا المصنفات الجنسية المكشوفة التي شاعت حديثا في كتب ومجلات وأفلام وصور مفضوحة يجب أن نحاربها جميعا بكل قوة، لا أن نجاريها، وننسب مثلها لدين الاسلام الخاتم والشامل للبشرية كلها؟

والحق أن أهل الحياء الكاذب والورع المزيف جهلوا وما علموا.

جهلوا أن شريعة الاسلام حينما تعنى بالتثقيف الجنسي فانما تعنى باحدى شهوتين عليهما تقوم الحياة، ومن أجلهما كان التشريع كلها... فهذا الحشد الهائل من تشريع الحلال والحرام انما كان من أجل تعديل هاتين الشهوتين، على طريق صحيح يؤدي الى قيام العمران، والى انطلاق الدعوة الى مداها، ألا وهما: شهوتا البطن والفرج.

وجهلوا أن أعداء الاسلام الذين يتخوفونهم انما رضوا من حياتهم بعقيدة مضطربة، واباحية مخربة، وأنسوا الى الرذيلة، وتجردوا من مقاصد الشرائع الإلهية، وأرادوا أن يشدوا المسلمين الى طريقهم بأساليب مختلفة منها هذا الأسلوب الذي يخافه المفكرون المسلمون، وصدق الله تعالى اذ يحذر المسلمين من صنيعهم بقوله:

﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾

(النساء: ٨٩)

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل ان هدى الله هو الهدى﴾

(البقرة: ١٢٠)

وجهلوا أن سياسة الاسلام العليا تهدف الى ربط الانسانية كلها بأواصر المودة والرحمة ابتداء من الزوجين، ثم الأسرة، ثم العشيرة، ثم المجتمع، ثم الأمة، ثم الانسانية كلها... ولن تكون هذه الأواصر قوية وفعالة الا اذا كانت قوية في بدايتها من الحياة الزوجية بعناصرها الثلاثة وهي: السكن، والمودة، والرحمة. ولن تكون تلك العناصر أبداً ما لم تكن العلاقة الجنسية في أرقى أحوالها من الارواء النفسي والعاطفي الذي هو السكن في شكله ومضمونه.

وجهلوا أن غريزة الجنس في الحيوان تختلف عنها في الانسان... فهي في الحيوان موسمية، وفي الانسان دائمة. وهي في الحيوان غير معوقة باهمال الأنثى لمظهرها وطيبها وحالتها النفسية كما هي معوقة بهذه المظاهر عند الانسان...

ومع ذلك فان المتتبع لبعض أنواع الطيور كالحمام يدرك أن من العجماوات ما هو كالانسان في حاجة الى العواطف العميقة والنظافة وغير ذلك من لوازم العلاقة الجنسية الناجحة في دنيا الانسان.

وجهلوا أن بدعة التبذل والفحش التي شاعت في كتب من التراث «كرجوع الشيخ الى صباه» للتيفاشي، والمنسوب خطأ لابن الهمام، وكتاب «ارشاد اللبيب» لابن فلتة، «وما لا يوجد في كتاب التيفاشي» وغيرها، والتي شاعت في المكتوبات الحديثة، والأفلام المرئية، وأشرطة التسجيل المسموعة، كل ذلك انما كان بسبب الجهل بالأداء الصحيح للجنس كما أشار اليه القرآن، وفسرته السنة بصراحة ووضوح. وكان من نتائج هذا الجهل انصراف الرجال عن الحلائل الى الخلائل والغلمان، أو محاولة علاج العنة النفسية بالاثارة الفاحشة، والممارسات الخاطئة، ولو أن الناس كانوا على علم بارشاد الكتاب والسنة في هذا المقام لما كان ما كان.

ولقد أشار الامام الواعظ ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر» الى هذا الخطأ حينما علل انصراف الناس عن الحلائل الى الخليلات بأن الخليلة تظهر كل محاسنها، وتخفي كل عيوبها بما لا تفعله الزوجة الشرعية، فيألف المنحرف هذا اللون من الممارسة التي تروي الجانب الظمآن من النفس المتعطشة الى ارواء كامل لا تجده عند امرأة كل قصاراها أن تخلط العيوب بالمحاسن حتى تنفر زوجها الشرعي منها.

هذا وغيره تجاهله دعاة الاسلام في العصر الحديث، ولم يجهله القدامى،

وتورع عن الخوض فيه المحدثون، ولم يتورّع عن الخوض فيه القدامى، وان كان الكثير منهم قد جاوز الصواب الى ضروب من الفحش بعيدة عن الهدف الذي من أجله صنفوا كتبهم، اذا استثنينا المتقي الهندي في كتابه «العنوان في سلوك النسوان» والامام السيوطي في كتابه «شفاء الغليل فيما يعرض للاحليل» وهما من مخطوطات التراث.

والحق أن جهل الأزواج والزوجات بالنصوص الاسلامية التي تناولت العلاقة الجنسية بينهما في الكتاب والسنة هو سبب رئيسي، بل وربما كان السبب الرئيسي المحرك للنزاعات الزوجية الدافعة الى الطلاق.

والتقاليد الموروثة تعتبر الافضاء بالسبب الحقيقي للنزاع ـ اذا كان سبباً جنسياً ـ جريمة وعاراً، وهي التي تدفع كلا الزوجين الى اصطناع أسباب أخرى للنزاع خوفاً من نظرات المجتمع الخاطىء التي لا ترحم.

وذلك أن من نتائج هذا الجهل نفور الزوج أو الزوجة من أن يقترب أحدهما من الآخر اذا كان السبب هو اهمال نظافة الظاهر، حتى خبثت رائحة الفم أو الجسد، أو النفور من نفس اللقاء الجنسي اذا كان السبب هو اهمال نظافة الداخل من أعضاء الجنس حتى خبثت هي الأخرى.

ويتمادى كل منهما في اهماله، وتستحكم عقدة النفس عند كل منهما نحو الآخر، حتى يصبح نظر كل منهما الى الآخر أو تذكره على البعد موحيا بالنفور، وهادما لعنصر السكن المنشود من اجتماع رجل وامرأة على سنة الزواج الشرعي.

فاذا صارح أحدهما الآخر بما يعانيه من أزمة النفس قامت القيامة، وبدأت جذوة الحقد في الاشتعال حتى ينتهي الحال اما الى الطلاق، وإما الى

البحث عن السكن النفسي المزيف في دنيا الحرام.

ومن أعجب الأعاجيب أن الرجل المنحرف قد يألف نفس العيوب التي نفرته من زوجته اذا وجدها في زانية محترفة، وأن المرأة المنحرفة قد تألف نفس العيوب التي نفرتها من زوجها اذا وجدتها في زان قد ألف الزنا، فكيف كان ذلك ؟

كان ذلك لمدخل دقيق من مداخل الخداع النفسي يعز فهمه على الكثيرين. وذلك أن الزناة يجتمعون في الغالب على مجالس المجاملات والمخدرات والمسكرات، متجردين عن كل ما هو جدي من شؤون الحياة، يعيشون ساعتهم وحدها، ولا عليهم أن تنهدم الدنيا على من فيها بعد ذلك، مغرقين في فنون المجون والهزل، وفاحش القول المضحك حينا، والمثير للغرائز حينا، حتى لا يبقى على وجه أحدهم من قناع الحياء شيء.

فاذا هاجت الغريزة بين اثنين على هذا اللون من التفحش، وتعرية الوجه، وإمعان الرجل في الكشف عن فحولته بمكشوف القول، والمبالغة في احتواء تدلل الأنثى الذي يكون هو الآخر قد بلغ حدا تحركه هواجس الخمر والمخدر، وفنون الغواية التي تجيدها المحترفات، فحينئذ لا يحس كل منهما الا بزئير الشهوة، والجوع الى مزيد من المثيرات الصناعية التي تزكم الأحاسيس عن كل العيوب والمنفرات.

ويألف كلاهما هذا الجو الصاخب الهائج المتحرر من كل قيمة، حتى يصبح هو المثالية، وما عداه شذوذ، وهي نكسة يصاب بها الخاطئون قررها القرآن الكريم عن قوم لوط اذ اعتبروا طهارته جريمة يستحق عليها النفي من البلاد حين قالوا: ﴿**أخرجوا آل لوط من قريتكم، إنهم أناس يتطهرون**﴾ (النمل: ٥٦).

وهكذا من ألف الزنا وأجواءه... يعاشر الرجل امرأة دون جمال زوجته، وفوق مستوى زوجته في اهمال النظافة، وتجنب المنفرات، وتعاشر المرأة رجلا دون مكان زوجها، وفوق مستواه فيما ينفر امرأة من رجل، ولكنهما يتآلفان، ويتواعدان، ويطول بينهما اللقاء، حتى يهجر الرجل البيت، أو تشذ المرأة فتبيت خارج بيتها في أحضان رفيقها العفنة.

والف الزناة للقذر والعفن وسعادتهم به أمر مقرر في السنة النبوية، كما جاء في حديث المعراج من أن البيئة التي يعاقب فيها الزناة انما هي قمة النتن والعفن، وجزاء الانسان في الدار الآخرة على شكل ما قدم من العمل، فعوقب الزاني بالعفن الذي أحبه، كما يثاب أهل العفة بالحور العين وما يحيط بهن من أجواء الطهر والجمال.

ولكي يقتنع القارىء بهذا التعليل عليه أن يوازن بين شعوره في حالة صلاحه إذا وقف في حانة السكارى، ومدى ما يصيبه من اشمئزاز لرائحة الخمر والجو العام للسكارى، وبين شعوره في حالة فساده اذا وقف نفس الموقف، فهو في الحالة الثانية أشد ارتباطا بهذا المنفر، يسعى اليه، ويسعد به، ويكتئب ان غاب عنه.

وأول هذه الكارثة كما علمنا غلطة من زوجة أو من زوج... جهل زوج أو زوجة في أول حياتهما بتعاليم الاسلام في آداب اللقاء الجنسي وأصوله.. ونفس عنيدة تستبد بالخطأ، وتدافع عنه، وتثور من أجل كشفه، وينتهي الحال الى نفور، ثم بحث عن سكن صناعي على غير الوجه الشرعي، وهو سكن مؤقت مقدر بقدر ما ينفق المنحرف، وبقدر ما تبذل المنحرفة من شرفها وكرامتها وعفافها.. فاذا انقبضت يد الخاطىء عن النفقة، أو انقبضت الخاطئة عن بذل ما تبذل من شرفها وكرامتها تحول كل منهما الى بيئة أخرى

من بيئات الخطأ، لتتكرر نفس التجربة، ويصبح الزنا من مقومات حياة هؤلاء الخطاة، ومن صميم ثقافتهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن من جرب الزنا فانه يألفه لا محالة اما بالفعل واما بالتمني حتى يكون بالفعل، وذلك في قوله تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ (النور: ٢)

فقد عبر باسم الفاعل «الزانية والزاني» واسم الفاعل يفيد التجدد والاستمرار، كما تقول: فلان قائم. أي: ما زال قائما لم يقعد. وهذا يفيد أن الزناة رجالا ونساء لا يهدأ لهم بال الا في جو الزنا، فما يلبثون أن يطرقوا أبوابه، ويبحثوا عن أجوائه الأكثر فتنة وغواية وتبذلاً وفحشاً.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد. بل ان هذه الأجواء الصاخبة بجريمة الزنا ومتاعه المزيف، ما تلبث أن تتحول الى بيئة للجريمة من خلال تجارة الرقيق الأبيض كما يقولون.. وذلك أن الزانية قد تصاب بالإدمان، فتتردد على عدد كبير من الهواة للوفاء بمتطلبات الادمان، أو لا تصاب بالادمان، ولكنها تصاب بما هو أشر منه، وهو عشق المال وحب الاستكثار منه، فتصنع نفس الصنيع لتسد جوعها الى المال.. وقد يسيطر عليها قواد من هواتها فتبذل له المال ابقاء على رفقته. وقد لا يسيطر عليها أحد، ولكنها تقع تحت سيطرة القوادين وأشباههم لميزات خاصة فيها فتشذ طباعها، ويتنافس على غوايتها الهواة، ويدفعها القوادون الى الاستغلال، وربما الى الجريمة.

ويطول الزمان، ويشتد الالف بين الجريمة والمال وبين الزانيات، ويمعن الزاني في طلب التغيير والتبديل، ويصبح ثمن العرض والشرب كسباً مشروعاً في هذه البيئة المنتكسة، وربما علم الزوج بنحلة زوجته وأغمض عينيه، وربما واجهها وحاسبها ورفع حجاب الحياء. واستقر عرفهم على اعتباره نوعاً من

الكسب لا غبار عليه، ولا خجل منه.

وهذا هو ما وصلت اليه المجتمعات الفقيرة والمترفة على السواء، وعلى اختلاف في الشكل، واتفاق في المضمون.

وبيئة واحدة هي التي تبقى على انحرافها سراً مكتوماً، تلك هي البيئة المتوسطة في أي أمة من الأمم، وشر ما في هذه البيئة على هذه الحالة هو الخداع، اذ يعيش كل من الزوجين بين ألوان من الخداع، والتفنن في الكتمان، وهي على هذا أقرب الى التوبة والاقلاع من بيئة الفقر والترف، ورغم أنها هي التي تزحم محاكم الأحوال الشخصية، كما ترهق العشائر بنزاعاتها الدائمة والمغلقة بأسباب غير الأسباب الحقيقة حتى يألف العرف الحديث فيها.

هكذا يصل الحال بمجتمعات المسلمين، بل هكذا وصل الحال بالفعل، والسبب هو جهل، واهمال، وتوقر مزيف من الشيوخ والدعاة عما لم يتحرز من الحديث فيه رسول الله ﷺ، وهو من هو عقلا ودينا وفراسة وأدبا وعلما ونظرا بعيدا غاية البعد.

لا ندري كيف أهمل الكتاب هذا الباب من أصول الاجتماع الاسلامي، وهو الباب الذي تكلم فيه الرسول ﷺ، وتكلم فيه كبار الفقهاء في موسوعاتهم، وقد أفاض ابن قدامة في الكلام عن هذا الباب في كتابه «المغني» والكاساني في كتابه «بدائع الصنائع» والنووي في كتابه «المجموع». ولكن حصول الناس على هذه الكتب غير ميسور الا للقليل منهم.

أقول وأكرر: ان مجتمعا قوياً متماسكاً مترابطاً بالأخوة الاسلامية لا بد أن يبدأ من بيت الزوجية، ولن يكون هذا الترابط بالمودة والرحمة في بيت الزوجية الا على أساس من السكن النفسي والجسدي العميق، ولن يكون

السكن وهناك جهل بما يهدم السكن، وينسف بناءه، ولن يكون علم الا بمواجهة الحقائق دون خجل، ودون حساب لتلك الألسنة السليطة التي لا صناعة لها الا تناول الجادين أهل البصائر بالقبيح من القول.

لقد استشرى الداء، ووصل الناس الى ما تحت حضيض الحيوانية والتسفل، حتى شك الرجل فيمن تنجبهم امرأته، وحتى انعدم الترابط بين مجتمع المسلمين، فلنبدأ من جديد، فلعل جيل الشباب الصالح الصاعد يضرب المثل الأعلى في ربط مجتمعه برباط الأخوة المنطلقة من بيت الزوجية السعيد الساكن.

وأهمس الى شيوخنا الفضلاء بأن العرف لا يعمل به مع وجود النص، وهم بسلوكهم يعتبرون العرف قائماً مع وجود النصوص، وهذا خطأ في مسلك العلم، فضلا عن أنه إثم في حق الأمة كلها.

وكثيرا ما يكون العرف السائد بين الناس خطرا داهما على المجتمع من حيث لا يشعر الناس.. وما زال العرف الذي يمنع الفتاة من ابداء رأيها فيمن يخطبها سبباً في مشكلات يستعصى حلها.. وكذلك العرف في انهاك الحساسية في عضو التأنيث عند الختان.. والعرف في زجر الآباء والأمهات لأبنائهم زجرا عنيفا ان هم حاولوا التعرف على لون من ثقافة الجنس في حدود الاسلام.

وفي هذا الحديث الصريح الاسلامي في نصه وروحه نتحدث الى:

١ ـ دعاة الاسلام والمفكرين في قضاياه أن ينقذوا المجتمع من شرور الحياء الزائف، والوقار الذي نلمس له دلالات أخرى غير دلالات الوقار، نهمس اليهم أن يقتدوا بالرسول ﷺ، وبأمهات المؤمنين.

٢ ـ بقايا العقلاء بين الجيل المتقدم سناً من المسلمين أن يرحموا أبناءهم وبناتهم من الضياع والجريمة... فالآلاف المؤلفة من المحترفات، والآلاف المؤلفة من الهواة، فكلهم من نتاج تربية هذا الجيل، ولهم آباء وأمهات أو أزواج وإخوة يعيشون بين هذا الجيل.

٣ ـ الجيل الجديد من الشباب الاسلامي بنين وبنات... فعلى هذا الجيل وحده في الحقيقةتقوم صحوة الاسلام ونهضته في كل أرجاء العالم الاسلامي، فهو جيل يتكاثر من الجنسين يوما بعد يوم، وهو جيل ملتزم مخلص لله ورسوله، ومن خلاله نرجو أن يعود الى البيت المسلم سكنه ومودته ورحمته، ومن ثم الى الغالم الاسلامي كله في عصر تمزقت بسبب أخطائه كل الروابط الا روابط الدعارة والترف الحيواني الجاهل، والا روابط العفن العقلي الذي أصبح مفخرة من مفاخر هذا الجيل، حتى جد العالم في تقدمه الى الأمام، وجدعالم الاسلام في تأخره الى الخلف. وصدق الله اذ يقول: **﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** (محمد: ٣٨)

أقول: ان شباب الاسلام البهيج من الجنسين ظاهرة مرادة من الله تعالى لاستعادة مجد الاسلام، فلا علينا أن نسمع بالصريح من الارشاد الذي رفضه الآباء فكان ما كان.. وعسى أن تحيا شريعة الله في هذا الباب الحرج من أبوابها لله وفي الله.

ان الشباب الاسلامي يصحو ويتكاثر، ويتواصى بالتكاثر، ويتعاون على الالتزام، ثم لا يجد من جيل العفن والترف الحيواني سوى السخرية والاستهزاء، ولكن المستقبل الزاهر باذن الله لهذا الشباب.

بل أقول: ان الأمل معقود على الشباب الاسلامي في مصر وحدها.. ففي كثير من بلاد الاسلام أشكال بلا مضمون للشباب الاسلامي.. أشكال من

اللحية والسواك وترديد السنن، وقلوب خاوية الا من الشهوات والأهواء.

ولكن فيضاً من روح شباب مصر قد انبلج في بعض البلاد. ونرجو أن يكون رائد عمران وليس رائد تخريب.

عليه أن يستوعب الاسلام، ويتآخى مع اخوة الاسلام، ويتواصى معهم بالخير، ويتعاون على البر، وما الدعوة الى التخريب الا صرف له عن هدفه الذي أراد الله منه. وبعون الله سوف نخرج رسالة عن ظاهرة الشباب الاسلامي لشباب الاسلام، لعل لهم منها منارا، ومن ظلمات الكيد مخرجا.

السكن واللباس... والمودة والرحمة

قال الله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ (الروم: ٢١).

وقال مشيراً الى خفايا العلاقة الزوجية: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾ (البقرة: ١٨٧). والرفث يطلق على الجماع، وعلى غيره من المعاني المتصلة به، كالكلام المتبادل بين الزوجين في موضوع العمل الجنسي. قال الأزهري: الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة.

قضية كونية:

أمامنا الآن قضية رئيسية هي: كيان بشري واحد، انفصل منه كيان آخر، فصار الواحد اثنان هما: الرجل والمرأة في دنيا الانسان. والذكر والأنثى في دنيا الحيوان. والزوجان في دنيا النبات، والموجب والسالب في دنيا الأفلاك وما تحويه من الأسرار، ويجمع الكل من الوجهة الكونية كلمة «الأزواج» وهي أصل الآيات الإلهية في الكون:

﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾ (يس: ٣٦).

﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾ (الليل: ٣).

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات: ٤٩).

هكذا كل شيء في الوجود، من الذرة الى الفلك وما بينهما، قائم على أصل واحد هو «الزوجية».. رتق واحد انفتق الى اثنين.. والاثنان متحدان في الجنس مختلفان في النوع.. ولكلا من الاثنين كيان مستقل، ومقومات مستقلة.. فالانسان الواحد انفتق الى اثنين هما: الرجل، والمرأة.. وهما الذكر والأنثى من بني آدم.. وهكذا كل الحيوان والنبات والجماد.

وذكر الانسان وأنثاه متحدان في الجنس، وان اختلفا في النوع والخصائص والتكوين.. وفيهما لا في غيرهما آية الله التي لا تدرك الا بضرب عميق من التفكر الذي وجه الله اليه العباد في الآية الأولى.

هناك آية كونية يشترك فيها الانسان والحيوان والجماد والنبات وكل ما برأ الله مما نعلم وما لا نعلم، وهناك آيات شرعية هي التي لا تدرك الا بالفكر العميق، والتدبر الشامل، وهي خاصة بالانسان.

أما الآية الكونية فهي التي عبر عنها الله تعالى في الآيات. بقوله: «خلق». وأما الآيات الشرعية فهي التي عبر عنها بقوله: «جعل». والفرق بين الخلق والجعل: أن الخلق هو العمل الإلهي الخالص الذي لا تتدخل فيه ولا في تسخيره أي ارادة أخرى، والجعل هو عمل إلهي يمكن أن تتدخل في تحقيقه لا في ايجاده ارادة الانسان.. كما يمكن أن يضل الانسان الطريق فلا يستطيع أن يحققه كما أراد الله، أو يستطيع ولكنه يرفض أن يحققه كما أراد الله.

فالله تعالى خلق للانسان من نفسه زوجة.. وهو خالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفس البشر، وهو خالق الذكر والأنثى، وصناعة الذكر والأنثى في الانتاج، أو الزوجين في الانجاب والتكاثر، كل ذلك من عمل الله

تعالى وحده، لا يشاركه في الخلق ولا في التسخير العضوي أحد ولا ارادة من أحد، فهو **﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما﴾** (الشورى: ٤٩، ٥٠)

انما هي وظيفة كونية شأنها شأن الوظائف الكونية التي تقوم بها المسخرات الأخرى كالشمس والقمر والنجوم والرياح والليل والنهار، لا يد لانسان عليها، ولا ارادة لمخلوق في تسخيرها، وليس للانسان الا أن يتأمل فيها ليدرك وحدة الكون من خلال وحدة الخطة، ووحدة الخلق.

هو قانون ثابت، وسنة لا تتبدل ولا تتحول، وتسخير كوني مترابط مشهود في أبعد المسخرات في الكون، وفي أقربها من ادراك الانسان مثل تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وفي أخفاها على مداركه كالقوى الخفية المودعة في الكائنات من الحرارة والرطوبة والخصوبة والعقم والجاذبية وما أشبهها.. فكلها تعمل ولا تستطيع التوقف، ولا تستطيع أن تخالف سنة الله.. فلا الثقيل يستطيع أن يصعد، ولا الخفيف يستطيع أن يهبط، ولا الأرض تستطيع أن تكف عن الدوران، ولا الأرض الخصبة تستطيع ألا تنبت، ولا الحيوان يستطيع أن يقاوم غريزة الجنس، ولا الانسان كذلك يستطيع أن يمحوها من كيانه.

هذا هو التسخير الكوني الذي تخضع به جميع الكائنات مطيعة لسنة ربها، لا تستطيع عنها فكاكا، ولا لها عصيانا.

وكل هذه المسخرات الكونية انما هي من أجل الانسان.. وفي كثير من آيات القرآن جاء ذلك صريحا بقوله تعالى: **﴿سخر لكم﴾** و **﴿خلق لكم﴾**.. فهذا الكون كله بما فيه من أفلاك وحيوان ونبات وقوى ظاهرة وخفية انما هو من أجل الانسان.. ذلك الخليفة الذي زوده الله بالعقل

والوجدان والقدرة على البحث والاستقصاء والتفكر والتذكر والتدبر والاستنباط والفهم عن الله، والجهاد من أجله.

بين التسخير والتكليف:

وهذه الآية الكونية طويلة المدى، بعيدة السحق، فلنعد من آفاقها البعيدة الى ما يمس موضوع بحثنا هذا منها وهو العلاقة الجنسية عند المسخرات وفي عالم التكليف، وهو عالم الانسان.

ولكي ندرك الأهمية العظمى للانسان ورسالته على وجه الأرض، وكيف أن الله تعالى أراد منه أن يكون عمله محسوبا ودقيقا كل الدقة وبكل وسائل الحساب الشامل للعمل والنتيجة فعلينا أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى حينما سخر الكائنات للانسان، وخوله أن يتدخل بالعقل والعلم في تنميتها وحسن استخدامها، وأعجزه عن هذا التدخل في بعضها، وأنه سبحانه وتعالى بهذا التخطيط الحكيم أراد من الانسان أن يحافظ على هذا النظام البديع باقامة نظام بديع ودقيق لحياته شرعه له، وطلب منه أن يرعاه، ويحسن استخدامه للوصول الى نتيجتين:

أولاهما: أن يكون تدبر العقل وتفكره في نظام الكون وسيلة للايمان المطلق بمبدع الكون، والعبودية لجلاله وسلطانه، ووسيلة لتنمية قدرات العقل والفكر والتدبر في الكون.

والثانية: أن يقيم مجتمعا محصنا ضد الكفر والنفاق، وصالحاً للدعوة الى الله والى سبيله على بصيرة من العلم والعقل والايمان.

وهذه الخطة ذات المقدمات والنتائج في حياة الانسان لم تطالب به المسخرات من الحيوان.. لأن هذه المسخرات انما خلقت لخدمة الانسان،

ويكفيها أن تكون عابدة لربها على طريق التسخير الكوني الذي سجله الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿**ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها**﴾ (الرعد: ١٥).

فالكره للمسخرات والطوع والاختيار للانسان.

لهذا كان بقاء المسخرات من الحيوان خاضعاً لاستخدام غريزة الجنس استخداما فوضويا لا يتقيد بقيد، ولا يعوقه عائق، ولا يتبعه تكليف، ولا يهدف الى سكن ولا استقرار.. على العكس من الانسان الذي تعلقت غريزته الجنسية ببناء السكن والمودة والرحمة.

من هنا يمكن أن ندرك الفوارق بين الحيوان والانسان فيما يتصل بالارواء الجنسي، تبعا لرسالة كل منهما في الحياة:

١ ـ جميع الحيوانات العجماء والناطقة تنجذب ذكورها واناثها بعضهم الى بعض بدافع الرغبة الجنسية، وشهوة اتحاد كل منهما بالآخر.. ولكن العجماوات أبيح لها حرية التفريغ الجنسي دون قيد ولا شرط على العكس من الانسان الذي أبيح لذكوره التفريغ الجنسي مع عدد من الاناث لا يتجاوز الأربع بشرط العدل، وأبيح لإناثه التفريغ مع رجل واحد لا يتجاوزنه الى غيره الا بعد طلاقهن منه.

٢ ـ الرغبة الجنسية عند العجماوات موسمية موقوتة بطلب الأنثى للحمل اذا استثنينا الدجاج وصغار الطيور، على العكس من الانسان الذي تحيا عنده الرغبة للممارسة في أي وقت من الأوقات.. وهي عند العجماوات غير معوقة بقذر الأنثى ولا عفن الذكر، بينما هي عند الانسان معوقة في هاتين الحالتين، حتى يوشك عندهما أن ينفلت من نطاق النظام الشرعي ويتمرد عليه بحثا عن أداء جنسي أفضل وأدخل في باب الاشباع والارواء.

٣ ـ وجمال الأنثى النسبي وغير النسبي ليس شرطاً للأداء الجنسي الكامل عند الحيوان، وهو أصل رئيسي يخضع للذوق عند الانسان.. وكذلك تدلل الأنثى ليس شرطاً في الأداء الجنسي الكامل اذا استثنينا الحمير والكلاب والحمام، بينما هو شرط رئيسي كذلك عند الانسان.. فكل تلك صفات تميزت بها أنثى الانسان لهدف أسمى يتفق مع الأجهزة العقلية والنفسية والوجدانية وتفاعلاتها التي امتاز بها بنو آدم وحدهم.

السكن واللباس:

واذا كان الانسان من بين الكائنات هو المكلف بتنظيم العلاقة الجنسية بين ذكره وأنثاه، وحمايتها من الفوضى، حتى يصل الى قدر من النظام في الحياة يتيح له العمل في تحقيق رسالته على الأرض ـ فان هذا النظام اقتضى أن تنحصر غريزة الرجل وعواطفه في امرأة واحدة هي الزوجة، وأن تنحصر غريزة المرأة وعواطفها في رجل واحد هو الزوج على الطريقة التي بينتها الشريعة في عقد الزوجية.

ولما كان الانسان مجموعة من القوى والغرائز والعواطف والوجدانات لا تنتج عملها الصحيح كالبناء الا في جو بعيد من الاضطراب والقلق المدمر، وكانت غريزة الجنس هي مناط الاستقرار والثبات في القوى العاملة الأخرى في الانسان ـ كان من المحتم أن يؤدي التفريغ الجنسي الى هذا الاستقرار والثبات حتى تعمل الأجهزة الانسانية الأخرى في قوة وعزم واصرار ودوام دون شيخوخة ولا خمول ولا اختلال.

والواقع الانساني الذي يؤكده الطب وعلم النفس يؤكد هذه الحقيقة.. بعد الواقع الشرعي.. فالواقع الشرعي سجله الله تعالى في قوله: ﴿**لتسكنوا اليها**﴾. وقوله: ﴿**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾. والواقع الانساني

الذي يؤكده الطب هو: أن الكبت الجنسي أو الخلل في الأداء يؤدي الى عدد من الأمراض النفسية والعقلية والخلقية، كالقلق، والاكتئاب، والنورستانيا، والفصام، والشذوذ، وكلها أمراض تدمر قدرة الانسان على العمل والتركيز الفكري، وقد تفقده الذاكرة، أو تسبب له اضطرابا عقليا هو الجنون بعينه.. وأهون الشرور على هذا النوع من الناس رجلا كان أو امرأة هو أن يسقط من مكانة الانسان الى درك الحيوان.

وآية الله في الانسان من دون الحيوان أنه سبحانه خلق كلا من الرجل والمرأة مضادا لصاحبه في الخصائص، ففي الرجل خشونة وغلظ وقوة وصلابة وكثافة، وفي المرأة نعومة ورقة ولين وتكسر وبضاضة ولطافة، الى آخر الصفات المشهودة للجميع.

ولأن الأنثى خلقت من ضلع الذكر في الانسان كما قرر الرسول ﷺ تفسيرا لخلق الزوجة من نفس الرجل في القرآن، فقد أصبحت جزءا منه، مخلوقا من نفسه، وقد اقتضى هذا الانفصال حنينا دائما من كل منهما نحو الآخر، وشوقا الى الاتحاد به اتحادا كليا يعود به سيرته الأولى، بحيث لا يحس أحدهما بأنهما اثنان، بل يتحدان في شخص واحد، وغيبوبة كاملة في الثنائية في قلب واحد.

هذا هو السكن المنشود من زوج وزوجة في بيت الزوجية الشرعي.

وقد فطن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس الى هذا المعنى فقال فيما أخرجه البيهقي في الشعب، وابن أبي حاتم الرازي: «خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل، فأحبوا نساءكم، وخلق الرجل من الأرض، فجعلت نهمته في المرأة وفي الأرض».

وقد أضاف الامام ابن عباس عمقاً جديداً في المعنى حين قرر تعلق

الرجل بالأرض مع تعلقه بالأنثى، وفاء لما ألزمه الله به من القوامة على الأنثى، واحتوائها، وحمايتها من السقوط.

فالسكن من السكون، والسكون ضد الاضطراب، والاضطراب انما يكون في الجسد والنفس والعاطفة والعقل، والزوجية شرعت أساسا لسكون الكيان الانساني من الاضطراب والهوس الاكتئابي الناشيء عن الحرمان أو النقص، ولا يكون ذلك الا بالأداء الجنسي الكامل بين زوجين يحب كل منهما الآخر.

وقد يقول قائل: ما دامت المسألة قاصرة على التفريغ الجنسي، فان السكون من الاضطراب قد يتحقق بأداء جنسي مع فاجرة عابرة، أو مع خليلة دائمة.

ونقول: لقد فات قائل هذا القول أن يستوعب عناصر السكون والاستقرار. فالسكن الزوجي عبارة عن: تفريغ جنسي مقترب بالحب، وشعور بالأمن وعدم الخوف، ويقين بدوام اقامة الأنثى مع الرجل في كل حال وفي كل وقت، واحساس بتسامي العواطف وبعدها عن الانتهازية والتزييف.

ولا يمكن أن تتحقق هذه العناصر مطلقا في فاجرة عابرة أو فاجر عابر، ولا في خليلة دائمة أو خليل دائم.. فمهما كانت العلاقة الجنسية كاملة في الحالات المؤقتة، فان مجرد الشعور بأن كلا من الرجل والمرأة مفارق لصاحبه الى رجل آخر أو الى امرأة أخرى يصيب النفس بنوع كئيب من الردة عن سعادتها أو نوع قد يكون قاتلا من الغيرة أو الحقد يهدم كل من جناه من سعادة آثمة.

والخليلة المقيمة والخليل المقيم لا يعطي أحدهما الآخر سكنا ولا استقرارا،

لأن تلك العلاقة مهما طالت فانها محفوفة بالخوف من المجتمع، مهددة بفساد العلاقة وتحولها من المودة والرحمة الى الابتزاز والخداع واللؤم والنفعية، وهذا وحده كفيل بهدم روح الاستقرار في النفس، مع عدم الشعور بوثاقة الرابطة بينهما، لأن هذا النوع من الناس ذواق للمتعة لا يستقر على حال.

أما الزوجية الشرعية فان شعور كل من الزوجين بالارتباط الشرعي الى جانب الحب والأمل في الأبناء وبناء الأسرة كفيل بالسكون والأمن والاستقرار في كل حال من أحوال الحياة.. فالحياة الزوجية بحق هي الكفيلة بالارواء الكامل الذي يحقق التوازن الداخلي في الانسان، وهو المراد بالسكن.

أما اللباس فهو أشمل وأعم من العلاقة الجنسية في ذاتها.

فالشوق الصارخ في أعماق كل من الزوجين لصاحبه رغم أنه مدفوع بالشوق الجنسي، فإنه كذلك مدفوع بمثيرات الشوق الجنسي من كل من صفات الرجل والمرأة في الجسد والصوت وفي كل ما يفصح عن كمال الرجولة والأنوثة من السمات، مما يجعل كل جارحة وكل احساس في كل منهما عاشقا لمثله من صاحبه، حتى يصلا الى قمة الاتحاد عند قمة الشهوة الجنسية.

وأي نقص في هذا الأداء يماثله نقص في الاتحاد بينهما. أي أن الاتحاد بينهما يستلزم الارواء العاطفي الكامل قبل الارواء الجسدي والجنسي. بل ان الارواء العاطفي يجب أن يكون ملازما للزوجين أثناء اللقاء وبعده ليتم الاتحاد كما أراد الله.. ومن هنا تبدأ رسالة الانسان السامية في اجتهاده واعمال عقله لتحقيق وحدته، والمحافظة على مجتمعه من عوارض الخلل الناشىء من اختلاف الميول والمدارك، تقليدا للمسخرات التي انتظمت في حركتها.

فشهوة الجنس وسيلة الاتحاد والسكن، وشهوات للجوارح والعواطف

وسائل دعم قوية لهذا السكن والاستقرار، وهي ضرورية لكمال الاتحاد بينهما، وإسكات الشوق الصارخ في الأعماق، وايجاد حالة من التوافق صالحة لأن تكون منطلقاً لبناء مجتمع متوافق متوازن، يستمد وحدته وتوافقه من هذه الوحدة والتوازن بين الزوجين في المنطلق الأول وهو بيت الزوجية.

فاللباس شيء زائد عن العلاقة الجنسية في ذاتها، وهو أن يغمر كلا من الزوجين صاحبه بفيض من عواطفه ورغبته في الاتحاد به.. وهو في شعور كل من الزوجين بأنه أخضع الآخر لسلطان اغرائه.. فالرجل يشعر بسعادة غامرة حينما يشعر بأنه استطاع اخضاع المرأة واحتواء كبريائها من خلال اللقاء، والمرأة تبلغ ذروة السعادة حينما تشعر هي الأخرى أنها أخضعت قوة الرجل وسلطانه لأنوثتها، فأصبح في دائرة احتوائها وقد حققت شخصيتها وكبريائها في ذاتها، وعوضتها عن قوامة الرجل عليها.. وليس هذا الشعور موجود عند الحيوان اذا استثنينا الحمير التي يحلو لأنثاها أن ترفس الحمار رفسات موجعة عقب اللقاء، ويحلو لذكورها اصابة الأنثى اصابة دامية كذلك. وجميع الكلاب يحلو لأنثاها إذلال الذكر وتعريضه للمهانة عقب اللقاء في مقابل اذلالها لمجموعة من الكلاب تتصارع عليها حتى يفوز بها واحد بعد ساعات طوال.

وقد أشار رسول الله ﷺ الى أن اللباس شيء زائد عن اللقاء الجنسي في حديث عبد الرزاق عن عثمان بن مظعون أنه قال: يا رسول الله.. اني لأستحيي أن يرى أهلي عورتي. قال: «ولم وقد جعلك الله لهم لباسا، وجعلهم لك لباسا»؟ قال: أكره ذلك. قال: «فانهم يرونه مني، وأراه منهم».

فهنا تقرير: أن اللباس بين الزوجين عبارة عن مجموعة من الأعمال منها: نظر كل منهما الى عورة صاحبه ويؤيد ذلك أن لباس كل من الزوجين للآخر

في القرآن جاء عقب تشريع الرفث. والرفث شيء زائد عن اللقاء الجنسي في ذاته، فهو شامل لكل ما يريد الرجل من زوجته من الكلام والأعمال المتصلة باللقاء.

أما ابن عباس فانه فسر اللباس بنهايته، فقال فيما أخرج ابن جرير والحاكم والفريابي وابن أبي حاتم في تفسير اللباس: «هن سكن لكم وأنتم سكن لهن».

وأخرج الطستي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن معنى اللباس في الآية فقال: «هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، تسكنون اليهن بالليل والنهار». وهي متعة المؤانسة بالحديث والعواطف المتبادلة وارواء الجوارح والنفس. قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني زبيان يقول:

اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فكانت لباسا

فمعنى ابن عباس بمعنى اللباس بعيدا عن المؤانسة والنظر الى الالتصاق الجسدي على حال من أحواله التي تذهب باضطراب النفس، وتمنحها السكون والاستقرار والحماية من غائلة الحرمان، حتى ولو كان هذا الالتصاق بعيدا عن المباشرة الجنسية، كما كان رسول الله ﷺ يفعل مع أمهات المؤمنين في حالة الحيض.

فاذا أضفنا أن الرسول ﷺ حث أصحابه وأمته على ملاعبة زوجاتهم ومضاحكتهم وكلامهم في أمور العلاقة الجنسية قبل المباشرة، ولم يجعله من اللهو المحرم، ونهى عن أن يقع الرجل على امرأته كما تقع البهيمة، علمنا أن اللباس المتبادل بين الزوجين هو ستر ما يحدث بينهما من أعمال قد يمقتها من نفسه ومن غيره في غير حالة الخلوة الزوجية، ولكنها أعمال تضفي على كليهما لباسا غامرا من النشوة السعيدة، وتهيئة لمباشرة جنسية مستغرقة في اتحاد بين قلبين وجسدين وروحين، وهو السكن المنشود في شريعة الاسلام.. وما تلك

الأعمال في ذاتها الا الرفث الذي أباحه الله لعباده وسنة الرسول لأمته، ولكن المتنطعين الجهلاء يريدون أن يخربوا مجتمع المسلمين، ويضربوه بالأمراض النفسية المستعصية ليقال: انهم أهل حياء، وأهل ورع، وأهل زهد في شهوات النساء التي زينها الله لعباده ولم يحبوها من تلقاء أنفسهم.

ان المتنطع من متنطعينا اذا قيل له: ان قبلة الزوجة أمر مشروع فانه يقبلها كما يقبل رغيف العيش يرفعه من الطريق العام. قبلة باردة خاطفة لا حرارة فيها ولا روح، يريد منا أن نعرفه بذلك فنذيع أنه رجل زاهد صاحب حياء، وهو أبعد الناس من الحياء ومن الزهد جميعاً، لأنه راغب في الشهرة والسمعة على حساب مجتمع الاسلام ودعوة الاسلام.

ان الارواء العاطفي هو اللباس بين الزوجين، وهذا الارواء يكون على أي صورة تهفو اليها العاطفة، فلا حرج على زوجين أبيح لهما مناط الشرف في كل منهما أن يستمتعا بأجسادهما ويبث كل منهما أخاه عواطفه بالصورة التي يهواها.

ولقد كان رسول الله ﷺ كثير التقبيل لنسائه، وقد روى الأحناف وصححوا أنه ﷺ كان يقبل بعض نسائه ثم يقوم للصلاة، كما ثبت أنه كان يمص لسان عائشة رضي الله عنها عند الامام ابن القيم. وأنه كان يضع فاه على موضع فم عائشة فيما تأكله من اللحم، وكل ذلك يؤكد بالاضافة الى حديث عثمان بن مظعون وعدم نظره الى فرج امرأته، والى شرعية الرفث لأن الزوجة لباس والزوج لباس أن اللباس هو لباس العاطفة يغمر كل من الزوجين بها صاحبه، ويتخذ لتأجيج شعلتها كل الوسائل والأعمال التي تخطر بباله استمتاعا حلالا مباحاً ينتهي الى أعظم عمل بناء في الاسلام ألا وهو بناء مجتمع الجسد الواحد.

ونخلص من هذا كله الى نتيجتين:

الأولى: أن اللباس المتبادل بين الزوجين هو: مجموعة من التعبيرات العاطفية القولية والعملية، ابتداء من الكلمة، الى القبلة، الى حرية النظر الى ما يحب كل منهما من الجسد، الى التحسس، الى الالتصاق الجسدي، حتى المباشرة الجنسية.. ولا يتحقق اللباس شكلا ومضمونا الا اذا اقترن بهذه الأعمال تفريغ عاطفي متبادل بينهما، بحيث يغمر كل منهما الآخر وكأنه يضفي عليه لباسا من العاطفة الغامرة، يبدأه الزوج، وتجاوبه الزوجة، حتى ينتهيا الى غيبوبة الاتحاد بينهما في قمة العلاقة الجنسية.. وهنا يكون كل منهما قد لبس صاحبه في متعة غامرة.

وقد يكون اللباس العاطفي منفصلا عن اللباس الجنسي، فهذا أمر سائغ مقبول ومحبوب لاسيما من النساء، ولكن المبغوض لأكثر النساء وبعض الرجال هو أن يكون هناك لباس جنسي بلا لباس عاطفي غامر وسابغ. فهذا عمل تكرهه الكثيرات من النساء، ويقبل عليه الكثير من الرجال.

وفي هذا الصنيع خطورة على الصحة العامة للزوجين، وعلى سلامة العلاقة الزوجية من عوارض التحلل والانهيار.. فالكثيرات من النساء لا يرتوين بالعلاقة الجنسية المنفصلة على الارواء العاطفي، وكذلك بعض الرجال يكرهون البرود العاطفي في الأنثى، وحينئذ تفتقد العلاقة الزوجية لباس العاطفة، ولا تكفي العلاقة الجنسية، وهذا هو سر اكتئاب الزوجات أو الأزواج واضطراب تفكيرهم وحياتهم.. بل ربما بحث الساخط منهما عن شريك محرم يكمل ما نقص عنده، وكما قلنا: لن يكون ارواء مستقر من أي علاقة محرمة.

وبعض الأزواج يسعدون بما يشتركون فيه من برود العواطف، والاكتفاء

بالعلاقة الجنسية العابرة، وذلك لضعف في وجدانهم وخيالهم وبنائهم العاطفي.

الثانية: أن نتيجة اللباس المتبادل بين الزوجين اذا استوفى الشروط التي سنعرض لها في الفصل التالي هي: سكون النفس والعقل والقلب والروح من كل الاضطرابات الجسدية والنفسية والعقلية الناشئة عن الحرمان، وتفريغ جميع العقد النفسية الناشئة عن الكبت، وتوازن العواطف مع العقل بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ومن ثم يتوازن الانسان في ذكره فلا تحركه العواطف، وتتوازن عواطفه فلا يجمدها العقل المجرد.

أي ان الانسان المسلم في هذه الحالة يصبح انسانا بريئا من جمود العقل وهو العاطفة.. ويصبح تفكيره ممزوجا بقدر مناسب من العاطفة يخرجه من دائرة التنطع والتجمد، كما تصبح عواطفه ممزوجة بقدر من العقل يخرجها عن دائرة الاندفاع الأهوج.

ومما تجدر الاشارة اليه أن كمال الارواء العاطفي والجنسي انما هو في شعور الزوجة برجولة زوجها، وشعور الزوج بأنوثة زوجته، فاذا اهتزت رجولة الزوج فلا لباس ولا ارواء، ولا يسمى مثل هذا الرجل زوجا عند النساء، بل يسمى حمارا يركب.

وقد أورد الزبيدي في «اتحاف السادة المتقين» أن نساء العرب كن يعلمن بناتهن اختبار الأزواج. كانت الأم تقول لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه. انزعي زج رمحه (أي سنانه) فان سكت فقطعي اللحم على ترسه. فان سكت فكسري العظام بسيفه، فان سكت فاجعلي الاكاف (البردعة) على ظهره وامتطيه، فانما هو حمارك لا زوجك.

ومن هنا كانت وصية عمر رضي الله عنه للرجال جامعة بين حسن الخلق ولين العشرة والاحتفاظ بكمال الرجولة اذ يقول: «ينبغي للرجل أن يكون في

أهله مثل الصبي، فاذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا ».

والمودة والرحمة:

المودة والرحمة بين الزوجين نتيجة حتمية للباس العاطفي المتبادل بين الزوجين، ولسكون كل منهما للآخر.. فهما عاطفتان مخلوقتان وليستا مسخرتين للانسان تسخيرا كونيا، بحيث يتحتم أن تكون المودة والرحمة ملازمتين لكل زوجين.. بل ان الزوجين منهما من يستطيع تفجيرها بينهما، ومنهما من يعجز فيعتبرهما داخل التنطع، أو داخل الجهل، أو داخل التقاليد البالية البعيدة عن تشريع الاسلام، أو تحت أستار كثيفة من العناد.

ويخطىء العاجزون حين يحاول أحدهما ابتزاز المودة والرحمة من أخيه بالاستطالة عليه، والمعاندة له، والبذاءة وسوء الأدب، متجاهلا خطأه الذي جعل أرض الزوجية بينهما غير صالحة لإنبات المودة والرحمة.. وتلك خلة من خلال السوء شائعة بين الأزواج على اختلاف مستوياتهم.. ولو أن العاجز العنيد من الزوجين استطاع أن ينظم كل ما أبيح له عمله، ويصر على استعماله، لوجد المودة والرحمة نباتاً طبيعياً ينمو ويترعرع كلما أرواه بتجديد العواطف وانمائها.

ولعلنا نتذكر وصف الله تعالى لمجتمع المؤمنين في القرآن بقوله ﴿**رحماء بينهم**﴾ (الفتح: ٢٩). ونتذكر وصف رسول الله ﷺ لجماعتهم بقوله: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد.. ». ثم نقارن هذه الصفات المنشودة في مجتمع المؤمنين بقوله تعالى بيانا لآياته ودلائل عظمته في خلق الأزواج من نفس واحدة: ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ (الروم: ٢١). ومن هذه المقارنة ندرك أن المنبت الأول للمودة والرحمة المنشودين

لمجتمع الجسد الواحد انما هو بين الزوجين في بيت الزوجية، وأنهما ينطلقان من بينهما الى من حولهما من الأبناء، ويشعان عليهما، حتى يشملا المجتمع كله ويصلا به الى حالة من التعاون والترابط تشبه ما بين المسخرات الكونية من التجاذب ووحدة النظام، وقوة التماسك.

وهكذا يرتبط الانسان بالكون كله، ويصبح صورة مصغرة له يمكن أن يجعلها كتاباً مختصراً يغنيه عن كتاب الكون الهائل **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** (فصلت: ٥٣)

وقد فسر الحسن البصري المودة بالجماع، وفسر الرحمة بالولد.. والحق أنه اتجه في تفسيرهما الى التفسير بالسبب. فلا شيء ينبت المودة في القلب ويرعاها بالنماء قدر ما تنبتها العلاقة الجنسية الجامعة بين ارواء الغريزة وارواء العاطفة.. ولا شيء ينشيء أصل الرحمة وجذورها في القلب قدر ما ينشئها الولد.

ولهذا يمكن أن تبقى المودة والرحمة في القلوب اذا فقد الزوجان أو أحدهما بعض الصفات اللازمة لارواء العواطف والغرائز أو كلها ما دام الولد بينهما، لأنه معين فياض من المودة والرحمة يغزو القلوب من خارجها فتفيض هي الأخرى عليه وعلى البيت، وان كان مايزال هناك فراغ في نفس كل من الزوجين.

معوقات المودة والرحمة:

أما المعوقات المؤقتة فقد ذكرنا واحدة منها، ونضيف اليها: اعوجاج المرأة في معاملتها لزوجها أو الزوج مع زوجته، وكثرة الشجار بينهما بعد صلاح واستقامة.. وهنا يكون الصبر الجميل، والسياسة الحكيمة عاملا من عوامل العودة الى السعادة والهدوء.

أما المعوقات الدائمة فقد حددها رسول الله ﷺ في قوله: « اياكم وخضراء الدمن. قيل: ما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء ».

وقال لقمان لابنه: « اتق المرأة السوء، فانها تشيبك قبل المشيب ».

وذلك أن المرأة الحسناء التي نبتت في منبت سوء هي التي عاشت في مناخ فاسد، وبيئة فاقدة للشرف والمثل الخلقية، وقد تكون شديدة الاستهواء لزوجها بما تتقنه من فنون الاغراء والاغواء، ويجعلها لباسا غامرا من الامتاع، ولكنها ما تلبث أن تمزق هذا اللباس حينما تعتبر ما تقدمه لزوجها من ارواء عاطفي وجنسي سلعة متقومة بمقابل لابد أن يبذله الزوج من ماله لها أو لمن حولها من أهلها الذين يعيشون على نتائج غوايتها، فان لم يجد فليبذل من كرامته بالاغضاء عن حركتها خارج البيت.

وقد لا تكون هكذا ولكنها هاوية للتبديل وتذوق صنوف الرجال، زائغة العين بين مظاهر الرجولة وألوانها، فتكون لباسا جميلا ولكنه ممزق لا يستر ما تحته.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن (يريد بذلك الحسناء المجردة من الدين) ولا تزوجوا النساء لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن (والمراد الغنية بلا دين) ولكن تزوجوا على الدين ». أي اعتبروا الدين أولا ثم اجمعوا اليه أي صفة شئتم.

فالبيئة المتدينة تصون الجمال في بناتها من الردى، وتصون نفوسهن من طغيان المال، وتضعهن في الموضع الرفيع من الخلق الرفيع، والعفاف المقيم.

أما خضراء الدمن التي حذر منها رسول الله ﷺ فانها شديدة السخرية

بالدين، لا تقيم وزنا لخلق، ولا حرمة لعرض.. لا تتوسم في زوجها حباً لها وميلاً اليها الا استغلته أسوأ استغلال باطلاق يدها في ماله على هواها، أو اطلاق حريتها في نفسها كما تريد، فتتسلط عليه، وتقيم من نفسها قيما على تصرفاته، والا حرمته الارواء بكل أشكاله، بل وربما امتنعت من تسليم نفسها ونشزت عن شريعة الله.

وهنا يفقد الرجل معنوياته وتخمل مواهبه، وقد يستسلم للعار ان استعبدته غوايتها، وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «اياكم وخضراء الدمن».

مقومات النجاح الجنسي

أولاً: الزوجات

تمهيد:

يميل النساء الى التمرد بحكم العوج في أصل خلقتهن من ضلع أعوج، كما قرر ذلك رسول الله ﷺ.

ويتخذ هذا التمرد صورا مختلفة كلها تعاكس النظام المنشود بين مجتمع البشر الذي هدف اليه الاسلام:

. **منها:** التمرد على الحجاب، تحت تأثير الدعوات المسمومة التي تنادي بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل.. وقد جهل النساء أنه لا يوجد قانون ولا تشريع احترم المرأة قدر ما احترمتها شريعة الاسلام.

فالاسلام قد احترم مشاعر المرأة حينما فرض عليها الحجاب، وذلك لئلا تمتد عيون الرجال وتتحرك عواطفهم نحو الفتنة المعروضة والمبذولة في الطرقات، مما يعمل على فتور جذوة الحب والمودة في قلب أي زوج نحو زوجته، فلا شيء يهدد حب الزوج لزوجته قدر ما يهدده امتداد عينيه الى ألوان من الفتنة وألوان من الجمال معروضة للناظرين، ولا شيء يقصر حب الزوج على زوجته وحدها قدر ما يقصره حبس عينيه عن مفاتن كل أنثى غيرها، وهو ما هدف اليه الاسلام من ضرب الحجاب على كل ما هو مثير في تكوين المرأة، حتى الصوت الرخيم. قال الله تعالى في حجبه عن الآذان:

﴿ ... ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ (الأحزاب: ٣٢).

وقال ﷺ: «النظرة سهم من سهام ابليس».

ولقد عالج رسول الله ﷺ الحالات الشاذة التي تقع فيها العين على فتنة نسائية محرمة فقال فيما أخرجه مسلم:

«من نظر الى امرأة في الطريق فتاقت نفسه اليها، فليذهب الى زوجته، وليقض حاجته، فان البضع واحد». وهذا علاج سريع يحد من الاندفاع الأهوج نحو الحرام.

ومنها: التمرد على الوظيفة الفطرية التي خلقت من أجلها، والتحول عنها الى أعمال ليست ملائمة لطبيعتها، ولا هي مؤهلة للنجاح فيها، وتلك الوظيفة هي: رعاية عاطفتي المودة والرحمة في البيت، وغرسها وتنميتها في قلوب الأبناء، وتدريبهم على معالي الأخلاق، وحمايتهم من دنيئها، واسباغ البهجة والسرور والمرح على البيت ومن فيه، وامدادهم بطاقة العمل الجاد، وحمايتهم من الخمول وذبول المواهب التي تذبل سريعا في بيئة الشجار والعداء والتنافر، وتبلغ قمة الازدهار والابتكار في بيئة الوئام والسرور والتراحم.

فالمودة والرحمة كما قلنا ونقول: هما الدعامتان الأساسيتان اللتان يقوم عليهما بناء مجتمع الاسلام، مجتمع الجسد الواحد.. وهما الرباط الوثيق الذي يشد بناء المجتمع بعضه الى بعض بالحب والألفة والقوة التي لا تقهر.. وليس هناك نبع فياض بالمودة والرحمة مثل المرأة بحكم تكوينها وفطرتها التي فطرها الله عليها.

واذا كان في الرجال من يفيض على غيره بالمودة والرحمة فانما صاحب

الفضل عليه في هذا الخلق العظيم امرأة هي أمه.. واذا كان في الرجال من يفيض غلظة وقسوة وفظاظة فانما سبب هذه النكسة في خلقه امرأة متمردة هي أمه، التي تركت مكانها من البيت، وخرجت الى غير مكانها من المجتمع.

واذا كانت هناك قسوة تصيبك أيتها الأخت المسلمة، أو تصيب أبناءك، أو تصيب اخوتك في الاسلام في مجتمع الاسلام، فانما سببها هو أنت التي احتقرت وظيفتك العظمى، وغشك الأعداء بالدعاية المسمومة لبدعة التحرر والمساواة.

واذا علمت أيتها الأخت كم من الملايين تنفق، وكم من الجهود المضنية تبذل في سبيل مقاومة آثار القسوة في المجتمع لعرفت أنك تستطيعين توفير هذه الملايين، وتلك الجهود بعودتك الى وظيفتك التي فصلت نفسك منها، جهلا بقيمتها.

ولو عدت الى وظيفتك العظمى لاختصرت طريق المسيرة الاسلامية نحو المجد عشرات السنين، ولعادت الملايين الضائعة بالرخاء عليك وعلى مجتمعك.

واحتجاج النساء بأن لزوم البيت يحرم المجتمع من جهود نصفه الآخر، ويحد من حرية المرأة باطل ومردود.. بل ان هجرها للبيت هو الذي حرم المجتمع من جهود نصفه الآخر التي لا يستطيعها غيره.. وهو الذي حد من حريتها في الانفراد بزوجها، وعرضها لأسوأ ما عرفته البشرية من خلائق السوء والفجور ألا وهو الخيانة في العرض.

ومنها: التمرد الناشيء من عقد النفس، وهذا النوع موجه نحو شريك الحياة وهو الزوج.. والحق أنه انعكاس لما يتجاوب في نفسها من الاضطرابات النفسية الناشئة من عوامل بعيدة وقريبة تتضافر كلها في خلق عقدة هي في

الواقع بؤرة عفنة في محيط الزوجية.. ولقد تكلفت الشريعة الاسلامية بتزويد الأزواج بالوصايا العاصمة من هذه العقد اذا أحسن فهمها، وصدقت النية في الوصول الى الدرجة المثلى من الصلاح والهدوء النفسي.

وجميع التعاليم الشرعية في العلاقات الزوجية تهدف الى اعداد كل من الزوجين ليكون لباسا غامرا من المتعة لصاحبه، ومن ثم يكون سكناً هادئاً من الاضطراب المدمر، وملاذا أمينا يمد صاحبه بأقدر الطاقات على العمل والابداع.. والزوجة هي الكفيلة بالبداية الطيبة التي تتبعها المبادرات الأكمل والأجمل من قبل الزوج.

الزوجة كما تريدها الشريعة:

أولاً: أن تكون مصدر سرور. وقد أخرج النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل: أي النساء خير؟ فقال: «التي تسره اذا نظر...» قال الامام الغزالي: انما يسر بالنظر اليها اذا كانت محبة للزوج.

ونقول: ان هذا هو الأصل، ولكن ثقة الزوجة في حبها لزوجها، وحب زوجها لها قد لا تكون مبعث سرور، اذ أنها ما تلبث أن تعتمد على هذا الحب، فتهمل مظهرها، أو تشتد غيرتها. أو تكثر من العتب عليه وحسابه على الكلمة العابرة، أو تثقله بمطالبها ليقيم الدليل على حبه لها.. وهنا تكون الكارثة، وتكون الزوجة مصدر آلام، ومن ثم ينتهي الحال الى الكراهية والنفور.

انها تضفي الكآبة على الوجه الجميل، والقبح على القوام الرشيق، فتحيلهما الى مسخ ومصدر للهم القاتل، والغم المقيم.

وقد أوصى عبد الله بن جعفر ابنته فقال: اياك والغيرة: فانها مفتاح

الطلاق، واياك وكثرة العتب، فانه يورث البغضاء».

والحب عاطفة سامية لا يصبر صاحبها على فراق محبوبه، ولا يرضى به بدلا، كما أنه عاطفة لا تدخل في نطاق المساومة على قيمتها المادية التي يبذلها الزوج لزوجته المحبوبة، فهذا الصنيع صنيع الساقطات اللاتي يبعن العواطف والقلوب والساعات والليالي، ويحببن الزوج لماله، فاذا قل ماله انقلبن عليه.

انما الحب تضحية بالمطالب الشخصية اذا لم تتيسر للزوج، واستكثار للقليل الذي يستطيعه، ولكنه اذا كان كثير المال فعليه أن يسعد زوجته ما وسعه الاسعاد. أما أن ترهق الزوجة زوجها بما لا يستطيع، فكلاهما جريمة في حق البيت المسلم.

ويغلب أن تنشأ عقدة النفس من عدم الاشباع الجنسي، وفيما عدا ذلك تنشأ من السخط على الحياة اذا كان فيها بعض الضيق نتيجة لنظر الزوجة الى مثيلاتها ممن وسع الله عليها في الرزق، وهذا هو الوبال في الدين والدنيا جميعا.

وبال في الدين لأن الله تعالى حينما قال: ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**﴾ (النور: ٣٢). لم يكن ليغنيهم دون عمل من الزوجين.. وانما يغنيهم اذا هيأت الزوجة لزوجها فرصة الابداع في العمل بدفع موجات متلاحقة من السرور الى قلبه، تدفعه الى الحرص على مواصلة العمل.. أما أن تدفع الى قلبه موجات الكآبة والسخط فهذا باب الفقر المقيم الذي صنعته الزوجة بيدها، وأرادت ثراء واسعا، وهذا هو الوبال في الدنيا. وصدق الله وكذب الانسان حين قال تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

وهذه مشكلة قديمة الوجود. فالامام السيوطي يذكر في كتابه « الايضاح في علم النكاح - ورقة ٥ »: أن الفقهاء أكثروا من نصح النساء باستكمال زينتهن داخل المنازل، وذلك بتسريح الشعر وتزيينه، والتطيب بالطيب أمام الزوج حتى يطيب قلبه.. كما ذكر الامام ابن الحاج في كتابه « المدخل ص ٢٤٤، ٢٤٥ » أن الفقهاء أخذوا على النساء عنايتهن بالزينة عند الخروج من المنزل، واهمال زينتهن أمام الأزواج.

والسرور يشع من كيان الزوجة على الزوج عند الابتسامة العذبة، وعند عنايتها بمظهرها في ملبسها ونظافتها وزينتها، وتجديد شكل ملابسها، وتشكيل شعرها، ولين حديثها، وجمال مرحها، مما يشكل حافزا للزوج على العودة الى زوجته سريعا بعد الانتهاء من عمله.

والسرور النابع من الزوجة من أعظم البواعث للزوج على مضاعفة عمله لاسعاد زوجته، وبذل الوسع لاستبقاء سرورها حيا ونابضا في نفسها دون أن يمل أو يشعر بأدنى تعب. كما أنه الباعث الأول على الاقبال عليها بفيض غامر من عواطفه تعبيرا عن سروره بها، وحبه لها، ولكن العجيب والمستحيل هو أن تهمل الزوجة زينتها، وتصبغ وجهها بفيض من الكآبة، وتشحن لشأنها بسيل من البذاءة، ثم تطالب زوجها بالسرور بها، والتعبير عن حبه لها. بل ان هذه الزوجة كفيلة بأن تقضي على عواطفه قضاء مبرما.

ثانياً: أن تكون مطيعة لزوجها، ففي حديث أبي هريرة السابق يقول الرسول: « ... وتطيعه اذا أمر ». وفي حديث أحمد: « ... ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر الى جبل أسود لكان ينبغي لها أن تفعل ».

وهذه الطاعة هي مقتضى قوله تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**﴾ (النساء: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾ (البقرة: ٢٢٨). ولأهمية هذا الأدب الاسلامي في نجاح الحياة الزوجية فقد حث الرسول ﷺ المرأة على طاعة زوجها طاعة مقرونة بأعظم درجات الاحترام فقال في رواية الترمذي: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وحذر الزوجات من سخط الأزواج عليهن لعدم طاعتهن، فعدهن ممن لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم حسنة، فقال فيما أخرج البيهقي عن جابر: «ثلاث لا تقبل لهم الصلاة، ولا تصعد لهم حسنة: العبد الآبق حتى يرجع، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو».

وأفظع أنواع العصيان: أن ترفض دعوته لها الى الفراش. وقد أخرج الترمذي عن طلق بن علي أن الله ﷺ قال: «اذا دعا الرجل امرأته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور». وفي رواية: «وان كانت على ظهر قتب» أي: وان كانت راكبة وجب عليها أن تنزل اليه. وتوعد العاصية في هذه الحالة بأشد الوعيد فقال فيما أخرج الشيخان عن أبي هريرة: «اذا دعا الرجل زوجته الى فراشه فأبت، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح».

ووعد الزوجة المطيعة بأعظم الجزاء فقال فيما أخرج الامام أحمد: «اذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت». وقال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة، وأكثر ما يدخل المرأة النار عصيانها لزوجها، وكفرانها احسانه».

وربط رسول الله ﷺ طاعة الزوجة لزوجها بطاعتها لربها فقال فيما أخرج ابن ماجه وأحمد: «والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، واذا سألها نفسها وهي على قتب (أي رحل) لم تمنعه

نفسها ».

وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد هذا الخلق في النساء، ويبادرهن بالسؤال عنه. وقد أخرج الحاكم والطبراني وابن أبي شيبة عن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «أي هذه، أذات بعل؟ قلت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلو (أي لا أقصر) الا ما عجزت عنه. قال: فانظري أين أنت منه، فانما هو جنتك ونارك».

حتى طاعة الله بالنوافل لا تجوز للمرأة الا باذن الزوج. فقد أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصم المرأةوزوجها شاهد الا باذنه» والمراد صوم النافلة.

ما سر هذه العناية الفائقة بطاعة الزوجة لزوجها؟
أهو استبداد الرجل بالمرأة في شريعة الاسلام؟

أم هي عبقرية خلاقة في المرأة أراد الاسلام كبتها لئلا تتفوق فيها على الرجل؟

أما أنه استبداد الرجل بالمرأة في شريعة الاسلام فهو قول ساقط ردده أنصار الفوضوية، وأعداء النظام.. انه قول تسقطه شريعة الاسلام حينما يقف الرجل مسؤولا أمام المرأة عن حقوقها المالية والأدبية وتسقطه وصايا رسول الله ﷺ الملزمة للرجل أن يحترم انسانيتها، ويشاركها الطعام والمسكن، والناهية عن ايذائها.. كما تسقطه وصايا القرآن الكريم بالمكروهات منهن حين يقول: ﴿**فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**﴾ (النساء: ١٩). وقول الرسول ﷺ: «لا يفرك (يبغض) مؤمن

مؤمنة، ان سخط منها خلقا رضي منها خلقا آخر».

وأما أنها عبقرية خلاقة في المرأة فنعم، وأما أن الاسلام أراد كبتها فلا، لأنه أطلق لها حرية العمل في مجال عبقريتها، وهو: اشاعة المودة والرحمة والسرور في البيت، ودعم خلائق الاسلام في قلوب الأبناء، لأنها بالفعل متفوقة على الرجل في هذا المضمار، لطول صبرها، وملازمتها للأبناء، وملاءمة تكوينها لهذا العمل.

وانما يصرفها عن هدفها هذا، ويحرمها من عبقريتها هذه: التمرد، والخروج على الطاعة، والعمل في غير عملها، تماما كما نحرث الأرض بابرة الخياط، فلا ثوبا لبسنا، ولا أرضاً زرعنا.

فالقرآن الكريم علل قوامة الرجل على المرأة بأمرين:

اولها: فضل بعضهم على بعض.
وثانيها: مسؤولية الرجل عن الانفاق.

ولم يحدد القرآن الكريم: من الفاضل ومن المفضول، وعدم التحديد معناه أن في كل منهما فضلا لا يوجد في الآخر. أي أن القرآن الكريم يكشف عن الخصائص الفاضلة في كل منهما، بحيث لا يستطيع أحدهما أن يقوم مكان الآخر فيما فطره الله عليه من وظائف الحياة.

فالانفاق فضل في الرجل لا تستطيعه المرأة، لأن تعريضها لفوضى الأسواق، وزحمة الحياة للحصول على المال فيه اهدار لأنوثتها أولا، واحتمال لامتهان عرضها ثانيا، والفساد في كلا الحالين لا يخفى على لبيب.

واهدار الأنوثة يحرم الرجل من متعته بنصفه الآخر، كما يحرمها من أعز ما تعتز به في دنياها، اذ لا جمال ولا رغبة في أنثى أهدرت أنوثتها واقتربت

من الرجولة في خصائصها.. ويشهد لذلك الواقع في النساء العاملات بالأسواق، وفي الأعمال التي تحتاج الى جهد جسدي وعقلي كبير، اذ ما يلبثن أن يفقدن رغبة الرجال فيهن فقدانا يكاد يكون كاملا.. كما أن امتهان عرضها يحرمها من لذة قصرها على واحد، ويجعلها مباحة لكل من يريدها بحافز آخر غير حافز المودة والرحمة، هو: الحافز المادي باعتبارها سلعة معروضة في السوق لمن يدفع ويزايد، وهي بدورها تصاب بالسعار المالي فتبالغ في التهتك والفجور وعرى الوجه لتصل الى مناها.

وهنا تفقد المرأة القدرة على اشاعة المودة والرحمة في البيت، وعلى غرس مكارم الأخلاق في قلوب الأبناء، ومن أين لمن باعت عرضها وشرفها أن تميز بين المكارم والدناءات؟

والقدرة على اشاعة المودة والرحمة، والصبر على متاعب الصغار وتنشئتهم على ما يريد الله ورسوله فضل تملكه المرأة ولا يملكه الرجل. اذا أن تكوين المرأة نفسه يغري الصغار بالحنين الى صدورهن، والسكون الى حنانهن، وهي وهي الجرعات الأولى التي يقوم عليها بناء الطفل الوجداني مع جرعات اللبن التي يقوم عليها بناؤه الجسماني تماما، وليس في الرجل من ذلك الا القليل مما يغري الطفل بالسكون اليه، اللهم إلا إذا شب على الطوق وسكن اليه بتأثير ما يتحفه به من الطرف المحبوبة إليه.

فالأمر بطاعة الزوجة لزوجها يحفظ فضلها على الرجل، وتمردها على الطاعة يجردها من هذا الفضل، ولا يلحقها بفضل آخر، وانما يضعها في منزلة لا فضل فيها، ولا أمل فيها لفضل يمكن أن تلحقه، نتيجة لتمردها على فطرتها.

فتمرد المرأة على فطرتها كما رأينا يفقدها العنصر الجاذب للرجل نحوها جنسيا في غمرة من السكن واللباس العاطفي الشامل، وانما يكون جذبها للرجل حينئذ آليا ومؤقتا لا متسع فيه لاستيعاب العواطف والمشاعر أخذاً وعطاء بينهما كما أرادت فطرة الإسلام من فطرة الذكر والأنثى.

وشعور الرجل بأن المرأة قد تعدت مكانها، وتمردت على طبيعتها يحد من اندفاعه بكل عواطفه نحوها، وشعورها بهذا الفتور نحوها يحد من استغراقها المنشود في أعماق عواطفه.. وتلك أولى البلايا ونهايتها في تحطيم العلاقة الجنسية بين الزوجين.

والحقيقة التي قد تغيب عن الكثيرين من الرجال، ويعترف بها المتمردات من النساء، هي: أن تمرد المرأة على الطاعة انما هو في الغالب نتيجة لعدم الحزم من الرجل، ولاندفاعه أحيانا في خط واحد هو الاستجابة لعاطفة الحب وحدها وما تمليه من الخضوع لرغبات المحبوب، دون مراعاة للجانب الآخر من التكوين النفسي للأنثى، وهو الرغبة العارمة في الشعور بالسيطرة والسلطان الى جانب الشعور بجاذبية الحب.

فاذا كان الرجل يحب الأنوثة والجمال الخاضع، فالمرأة كذلك تحب الرجولة الحانية الآمرة.. وتحرص على هذا اللون من الرجولة، وتخشى اهتزازها تحت تأثير اغرائها.

وهذا هو السر في أن نساء العرب قديما كن يعلمن بناتهن اختبار الأزواج في هذه الناحية على الوجه الذي ذكرناه في الفصل السابق.

وهكذا يبدأ بتجربة بسيطة يغضي عنها الزوج، وتتكرر التجربة، ولا تجد الزوجة في الرجل ما يشبع طبيعتها، فتتمرد، ويستفحل الخطر، حتى يصبح

ردها الى طبيعتها شاقا عسيرا الا بتجربة الطلاق الرجعي.

وهذا هو السر في كثير من الحالات التي تلجأ فيها المرأة الى اتخاذ خليل ليس في منزلة زوجها المالية ولا الاجتماعية، ولكنه يروي طبيعتها المحبة للسيطرة والسلطان.

ثالثاً: أن تكون أمينة على ماله وعرضه. وهو العنصر الثالث في الحديث المتقدم: « ... ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره». وفيما روى ابن عباس عند الامام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: « أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلب شاكر، ولسان ذاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها ولا في ماله».

والمتأمل في حديث أبي هريرة هذا يدرك مدى الحكمة البليغة في وعي رسول الله ﷺ للحركة النفسية للمرأة.. فهي بحكم الغرور الذي ركب في طبعها اذا رأت نفسها مصدر سرور ومرح لزوجها، وأيقنت من شدة اقباله عليها وحبه لها وربما تدللت عليه بعصيان أوامره، لاثبات شخصيتها الآمرة في مواجهته.. فاذا تجاوز الرجل لها عن الأوامر التي ترضي غرورها، فلتحذر أن تتجاوز قدرها وحجمها فتنتهك حرمة البيت وقداسة الشرف، أو تعبث بالمالية المنزلية على هواها وبارادتها المنفردة دون علم زوجها، لأنها حينئذ لا تعتدي على زوجها، وانما تعتدي على مجتمع الاسلام كله.

وأخطر هذين وأشدهما استعصاء على الحل هو خيانة العرض، ولهذا كانت أوامر رسول الله ﷺ موجهة الى الرجال مع النساء: ألا يكونوا عاملا مساعدا على انتهاك حرمات البيوت، لأنه فساد على مستوى العالم الاسلامي كله.

وقد أخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع: « .. فأما

حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون».

ثم وجه رسول الله ﷺ حديثه الى الرجال في تحذير قاطع ألا يشاركوا النساء الراغبات في هدم الحياة الزوجية مسلكهن القبيح فقال فيما أخرج البخاري: «لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذم محرم».

وفي البخاري أيضا: «اياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله.. أرأيت الحمو؟ (والحمو هم أقارب الزوج) قال: الحمو: الموت». وانما شبه هؤلاء الأقارب بالموت لأنهم بحكم صلة القربى بها قد ينتهكون حرمة البيت والعرض تحت هذا الستار، والناس يظنون الخير من حولهم فيهم ومنهم الزوج.

واشتد تحذير الرسول ﷺ للرجال أن يشاركوا النساء هذه الخصلة القبيحة فقال فيما أخرج الطبراني: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير لهم من أن يمس امرأة لا تحل له».

ومما يؤسف له أن النساء في العالم الاسلامي قد استخدمن العرف المتوارث في هتك الشريعة، واقناع الأزواج بهذا الباطل.

فهناك صديق العائلة، وهو صديق من حقه أن يدخل ويخالط الأسرة كلها في حضرة الزوج وغيبته.. وهناك واجب الضيافة في الوسط الشعبي حينما يسأل زائر عن الزوج وليس هو في البيت، فيقضي عرف هذه الطبقة أن تدخله الزوجة، وتقدم له التحية حتى يحضر زوجها، أو تخبره بعدم وجوده بعد ذلك.. وهناك بدعة الحذاء الحريمي يكون على باب قسم «الحريم» من البيت في بعض دول الاسلام فلا يقربه الزوج، بينما يكون في الداخل رجل

بين الحريم.. وهناك الخداع حيث تدخل الزوجة رجلا غريبا على أنه قريب، أو تعقد أواصر الصداقة بين زوجها وبين رجل غريب لحاجة في نفسها ونفسه.

وهذا كله من الخيانة.. والخيانة كذب في النية، وكذب اللسان أول كذب النية، وكذب اللسان أول مسوغات الشك في سلوك الزوجة. واذا غامت سماء الزوجية بالشك غامت نفس الرجل وقلبه نحوها، ولم تعد زادا شهيا للجوع الجنسي بأي حال.. وقد ينتهي الحال الى اتفاق بين الزوجة والصديق على قتل الزوج حتى ينفسح لهما الطريق الى الحرام الخالص من المعوقات.

والخيانة في المال تهديد مباشر للأسرة بالانهيار، فالخائنة في المال تحتجز لنفسها ما يحتاج اليه الأولاد، وتحرج الزوج في مجتمعه لأنه سيظهر بمظهر العاجز أو المقصر في حقوق أسرته، ومن ثم تنعدم المودة والرحمة من البيت، وينعدم السكن واللباس تبعا لذلك، فلا أمل في السكن الى لص، ولا حيلة في اللباس بين مكافح وخائنة.

أما اذا كان الزوج غنيا وشحيحا فأخذت الزوجة ما يكفيها دون علمه فليست خائنة في المال. وفي ذلك أخرج البخاري أن هندا زوجة أبي سفيان قالت: يارسول الله.. ان أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، الا ما أخذت منه وهو لا يعلم. فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

وكذلك من تحتجز بعض المال دون علم الزوج لتظهره له عند الحاجة اليه، فتلك امرأة شريفة طاهرة وأمينة.

ومن تأخذ من مال زوجها لتعطي أهلها، أو لتحتاط لدنياها وحدها دون علمه فتلك هي الخائنة، وهي القريبة من الخيانة في العرض ما دام المال هو هدفها في حياتها الزوجية، فهو أسرع اليها وأكثر في دنيا الخيانة في العرض، وهي صاحبة قلب مريض، ونفس مظلمة، وصاحب القلب المريض والنفس المظلمة محروم من أحاسيس الحب،وجمال السكن، وهدأة اللباس الزوجي.

★ ★ ★

هكذا كل أصحاب القلوب المريضة لا يحبون الا الظلام ولا يعشقون الا النفاق، ولا يحسون بنقاء الايمان.. هكذا وصفهم القرآن

فهم طامعون في الحرام دائما: ولا يخضعن بالقول: ﴿**فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ (الأحزاب: ٣٢).

وهم عشاق الفتنة ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة**﴾ (آل عمران: ٧).

وهم لا يستجيبون لأي معنى روحي على الاطلاق، لأن ردهم على وعود الله ورسوله للمؤمنين كان قولهم: ﴿**ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا**﴾ الأحزاب: ١٢).

فكيف يستقيم ظلام النفس الخائنة ومرض قلبها مع نور الحب.. وكيف يتلاءم قلب مريض ونفس مظلمة مع صفاء اللباس العاطفي المنشود.. وكيف يفضل بناء أخلاق الاسلام في نفوس الأبناء على بناء سجايا المال، وعفن السعار عند أصحاب تلك القلوب المريضة؟؟

انها زوجة لا تصلح الا في دنيا القوادين والخمارين، فتلك هي الدنيا التي تقاس فيها العواطف بمقياس المال.. أما في دنيا الاسلام فالعواطف فوق المال،

والسكن فوق السعار، واللباس العاطفي أعظم ألف مرة من لباس الذهب والماس.

انها خضراء الدمن التي حذر منها رسول الله ﷺ، فهي تجيد الحيلة لسرقة مال الزوج دون علمه، ثم تصفه في مجالس أهلها بأنه مغفل، وهي تجيد الحيلة لإدخال من تريد الى بيت الزوجية سرا أو علانية، ثم تسمي زوجها بلغتها (قرطاسا) أو (معرصا). ثم هي مع ذلك تداري عفنها بالتهتك والتبذل لتحكم الغطاء على عين الرجل الطيب الذي لا يسارع باتخاذ الاجراءات الشرعية المقررة في هذا الصدد.

أخرج الترمذي أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: « ... ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فانهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، الا أن يأتين بفاحشة مبينة، فان فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ».

والفاحشة المبينة ليست هي الزنا، بدليل عقوبتها التي هي الضرب غير المبرح، وليست هي عقوبة الزنا في شريعة الاسلام. بل هي: النشوز عن الطاعة بالفاحش من القول والعمل. وقد أضاف قاضيخان في فتاواه أمورا يجوز الضرب عليها فقال: « للزوج أن يضرب زوجته على أربع: ترك الزينة اذا أراد الزينة، وترك الاجابة اذا أراد الجماع وهي طاهرة، وترك الصلاة، والخروج من المنزل بغير اذن ».

رابعاً: أن تكون نظيفة وجديدة في زينتها وحديثها وسجاياها.. والنظافة والزينة داخل البيت من أعظم وأجدى عوامل النجاح في علاقات جنسية مثالية. فنظافة الجسد والثوب وجماله من أقوى ما يشد الزوج نحو الزوجة. والنظافة تضفي على النفس بهجة وصفاء على العكس من القذر والدرن الذي يغشي النفس بالكآبة والانطواء، ولهذا قال الرسول ﷺ: « النظافة من الايمان ».

والكثير من الفتيات والنساء والزوجات لا يعنين بنظافة الفم والأسنان.

ولو علمن مدى الفزع والجزع والكزازة وانغلاق النفس والقلب من ريح الفم العفن لعذرن الأزواج في هذه الحالة اذا تجنبوا الاقتراب منهن للحديث العادي فضلا عن محاولة القبلة أو المداعبة أو اللقاء.

وقد يعلمن ويغضبن اذا ظهر استياء الزوج، وهذا هو الحمق بعينه، وهو العناد الذي يبقي على أصل الداء، حتى تتأصل منه عقدة في نفس الزوج لا تزول بزوال سببها.

فمن لا تستطيع معاجين الأسنان فلها في السواك فضيلة النظافة، وإزالة أسباب العفن، وثواب السنة المباركة.. وفي ملح الطعام قضاء على مراكز التعفن في اللثة ان كان حال الزوجين رقيقا لا يحتمل علاج الأطباء.

لا شيء يهدد العلاقة الجنسية بالفشل الكامل قدر بخر الفم، وعفن اللثة والأسنان عند الزوجة والزوج معا.

لهذا كان رسول الله ﷺ يدمن السواك، ويحث على ادمانه، ويسنه عند كل وضوء وكل صلاة وكل نوم وكل يقظة.. وروايات الصحابة وأمهات المؤمنين عن سواكه وأمره أصحابه بالسواك، لا لمجرد النظافة، بل لإزالة الألوان التي تشوه جمال الأسنان.

وقد أخرج النسائي أنه ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب». وحينما كان يرى في أسنان بعض أصحابه صفرة كان يقول كما أخرج الطبراني: «ما لي أراكم قلحا (بضم القاف وسكون اللام. يعني صفر الأسنان) استاكوا». وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». أمرا وجوبيا، لا سنة اختيارية. وكان هو ﷺ على ما برأه الله

من المنفرات يدمن السواك حتى تكاد تحفى قوادمه تعليما للأمة، وتنبيها على هذا الخطر الذي يهدد العلاقة بين الزوجين تهديدا قاتلا ومباشرا.

ولقد كان أستاذنا الكبير الشيخ علي حسب الله يعدّ محاضرته الأولى للفرقة الأولى في دار العلوم القديمة في أول الأربعينات في هذا الموضوع، ويحث طلابه على اذاعة مضمون محاضرته بين الناس، ولا سيما الشباب منهم رجالا ونساء.

وكم من جميلات إذا تحدثن اليك هاجمك فوج من العفن يثير الصداع، ويزهدك في الجميلات من مثيلاتها. فلعل نساء المؤمنين وفتياتهم يعين هذا الدرس جيدا، ويحذرن من الوقوع في تلك المهلكة المؤكدة.

ويلي هذا في الأهمية والخطورة خبث رائحة الفرج وما بين الفخذين أو بين الأليتين، ثم تحت الابطين، وتحت الثديين. هكذا على الترتيب، ولا حياء في الاسلام.

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فقال: خذي فرصة من مسك فتطهري بها. قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري. قالت: كيف؟ قال: سبحان الله! تطهري. فاجتذبتها الي فقلت: تتبعي بها أثر الدم».

ولنا في متن هذا الحديث وقفة. فالوسائل الثلاث التي وردت في السنة للتطهر من الحيض على خلاف بين العلماء هي: الوضوء، والغسل، وغسل الدم. وليس من بينها تطييب المكان بالمسك. هذه واحدة. وثانية هي: أن تتبع مواضع الدم يعني أن تطيب داخل الفرج بالمسك حتى منبع الدم.

والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن المرأة كانت تريد بالتطهر هنا: ازالة

الرائحة الكريهة. ولهذا أشار عليها الرسول ﷺ بالمسك. ولو كان الأمر مجرد تطهر من الحيض لأشار عليها بغسل الموضع بالماء، لأن تتبع أثر الدم بالمسك يزيل الرائحة الكريهة، ولا يزيل أثر الدم من المكان، فكأنه وضع الرائحة الطيبة والدم على حاله، وهو ما نستبعد أن ينصح به رسول الله ﷺ.

وعلى أي حال فان في مساحيق التنظيف والدش المهبلي كل المأمول للتخلص من هذا المنفر البغيض.

أما الزينة فقد حث الرسول ﷺ النساء عليها، وقد أخرج أبو داوود أن النبي ﷺ قال لامرأة أهملت زينة يديها: «يد امرأة هذه ام كفا سبع، اذهبي فغيري». أي زينيها بالحناء أو بما يزين به النساء أيديهن.

وأوصى عبد الله بن جعفر ابنته فقال: «..وعليك بالكحل فانه أزين الزينة. وأطيب الطيب الماء».

وأوصت أعرابية ابنتها فقالت: «... والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب...».

وما زال الكحل في العينين سحرا لا يدانيه سحر، لا سيما اذا شمل مساحة من الجفون تبرز العين بين ظلال الكحل أوضح اتساعا، وأشد بياضا لبياضها، وسودا لسوادها.. ففي هذه العيون هامت خيالات الشعراء، بل وتسامت مواجيد الصوفية حتى قال قائلهم:

عيوني كالعيون من العيون ومن نامى الهوى نمت عيوني

وما زال العصر يمد الزوجات بالجديد من زينة العيون، وزينة الوجوه، مما يهيىء لهن التجديد الدائم، والخلاص من الملل.

ولا ننسى أن القرآن الكريم أطلق حرية الزينة للمرأة، بشرط ألا تبدو الا لأزواجهن والمحرمات عليهن فقال تعالى: ﴿**ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن**﴾ الآية (النور: ٣١).

غير أن الاسلام اتجه بالمرأة اتجاها يحد من رغبتها في اجراء تغييرات في طبيعتها التي خلقها الله عليها باسم الزينة.

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أن تغيير خلق الله باسم الزينة والتجميل عمل شيطاني بينه القرآن على لسان الشيطان اذ يقول:

﴿**ولآمرنهم فليغيرنَّ خلق الله**﴾ (النساء: ١١٩).

وقد حدد رسول الله ﷺ الأعمال المحرمة على المرأة في مجال الزينة والتجميل من حيث هي تغيير لخلق الله فقال فيما أخرج الشيخان: «لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة، والمتفلجات للحسن. المغيرات خلق الله».

والواصلة هي صانعة (الباروكة) والمستوصلة من تطلبها لتلبسها. والواشمة من تلون الجلد بلون أزرق. والنامصة من تزيل شعر الحاجبين أو ترققهما وتزيل ما بين الحاجبين اذا كان مقرونين. والمتفلجة التي تبرد أسنانها لتبدو متباعدة.

ولم يكن أحد من النساء يفعل ذلك في عصر النبوة، وكان الكثير من الصحابة يتابع تنفيذ هذه الأوامر بين المجتمع، منهم ابن مسعود، وقد روى أحمد في مسنده أن امرأة قالت له: كيف تحرم ما لم يحرمه الله في كتابه؟ قال: وما ذاك؟ قالت: النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة... قال: بل هو في كتاب الله. قالت: كيف؟ قال: قال الله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**

وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر : ٧). واني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... وساق الحديث. قالت: فلعل أهلك يفعلنه. قال: ادخلي عليهن. فدخلت وخرجت وقالت: ما رأيت الا خيرا.

وفي مسند أحمد أن امرأة جاءت الى النبي ﷺ فقالت: ان شعر ابنتي يتمرط، وان زوجها يحبه، أفأصله لها؟ فقال: «لا».

ونحن الآن أمام قضية خلاصتها: أن كل ما فيه تغيير في أصل الخلقة فهو محرم، وكل ما لا تغيير فيه فهو مباح. ولو نظرنا في تدبر الى الشابات المسلمات من أهل الحجاب في مصر، وهن يتكاثرن بحمد الله تكاثرا يبعث على الفخر والدرس، لوجدناهن ملتزمات غاية الالتزام بهذه التعاليم النبوية وغيرها كالامتناع عن الطيب في الطرقات.

ولو تأملنا هؤلاء الصالحات من فتياتنا لوجدنا أن الحجاب مع الطبيعة يبعث القلوب على احترامهن، ولا يدفع النفوس الدنيئة نحوهن بسوء. ولو زججن حواجبهن لامتدت اليهن العيون الآثمة على الفور.. اذن فالتعاليم النبوية تحد من سوء العيون، وخبث النفوس.. ولكن ما موقف فتاة هذه صفتها من الحافز الجنسي لزوجها حين تتزوج ولا يباح لها أن تزجج حاجبيها؟.

وهل هناك حافز بديل لحافز التغيير المثير في الخلقة؟

أقول: نعم، ان الفتاة الملتزمة بهذه التعاليم تبدو حقيقة أصغر من عمرها بكثير. فلو نظرت الى فتاتين في العشرين من عمرهما، واحداهما مزججة الحاجبين والأخرى غير مزججة، لوجدت الأولى تكبر الثانية بعشر سنين. نتيجة لهذا التغيير. ومن المسلم به أن في حداثة السن اغراء أجمل من الإغراء

المصنوع الذي يتقدم بالسن بعيدا عن حقيقتها.

على أن في اقتران الحاجبين جمالا واغراء لا يقاوم عند كل صاحب ذوق، وفي المبالغة في ترقيق الحواجب قبح لا يعدله قبح عند كل صاحب وجدان. ولو علم الله في مسخ الطبيعة خيرا لأمرنا به، وحيثما كانت الشريعة فثم مصلحة العباد وحياتهم الروحية والوجدانية على السواء.

والخلاصة أن الحافز الجنسي الناشيء عن الجمال الطبيعي المزين بما لا يخرجه عن أصل الخلقة حافز راق سام عميق، أما الحافز الناشيء عن جمال ناشيء من تغيير خلق الله فهو حافز شيطاني ناري لا يلبث أن يفتر ويشيخ.

وأشر أنــواع التغيير في خلــق الله بقصــد التجميــل والحفــز الجنسي بين الزوجين بدعة تشبه المرأة بالــرجــل في اللبــاس، وقــص الشعــر، والحركــة والسكنة، والتدخين في الطرقات، وارتياد أماكن الرجال، الى غير ذلك مما هو شائع معروف ومشهود.

وتذكرنا هذه البدعة بمثلها تماما في عصر بني العباس، اذ كان في قصر الخلافة فتيات لبسن ملابس الرجال سمــوهــن « الغلاميــات » كــن يخدمــن الخليفة، وقد نشأت عنهن بدعة اللواط بالذكر والأنثى جميعا، حتى قال بعض الشيعة بحل لواط الرجل بزوجته وبعبده المملوك الذكر، وهي فتوى تمتد بجذورها الى أصل فكرة الغلاميات الوافدة من ايران التي كانت تعرف آنذاك بفارس.

بل لقد تعدى هؤلاء حدود الانسانية والأدب حين نسبوا الى الامام مالك والامام الشافعي وابن عمر وزيد بن أسلم القول بحل اللواط بالزوجة، وقد رددنا عليهم، وأبطلنا أدلتهم المزيفة في كتابنا « هذا حلال وهذا حرام » الذي نشرته دار التراث العربي بالقاهرة.

دستور الزوجات على لسان اعرابية:

من أعظم ما سجله لنا التراث العربي تلك الوصية الرائعة التي أوصت بها أم أعرابية ابنتها ليلة زفافها، ولهذا رأينا أن نسوقها، فلعل فيها لبناتنا بلاغا وخيراكثيراً.قالت الأعرابية:

« يا بنية.. انك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، الى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبا وملكا.

« فكوني له أمة يكن لك عبدا.

« يا بنية.. احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لمواقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك الا أطيب ريح..

« والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود.. والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فان حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة.. والاحتفاظ ببيته وماله، والارعاء على حشمه وعياله، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والارعاء على العيال والحشم حسن التدبير..

« ولا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فانك ان أفشيت سره لم تأمني غدره، وان عصيت أمره أوغرت صدره..

« ثم اتق مع ذلك الفرح ان كان حزينا، والاكتئاب ان كان فرحا، فان الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير..

« وكوني أشد ما تكونين له اعظاما، يكن أشد ما يكون لك اكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك مرافقة..

« واعلمي أنك لا تحصلين على ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك ».

فسمعت البنت وصية أمها، وجعلتها دستورا لها، وعملت بها، فأنجبت سبعة من الأولاد كلهم ملكوا.

وهمسة مخلصة للسيدات المسلمات: لماذا لا تجربن الحياة الزوجية على منهج الاسلام، بعد أن غامت بيوتكن بالتعاسة من جراء التقاليد والقواعد البعيدة عن منهج الاسلام؟

ان المريض يجرب الدواء، ويحرص عليه اذا وجد فيه راحة من آلامه، فجربي وسوف ترين أنك أسعد النساء، وسوف يرف السرور على محياك، وتقتحم البهجة أرجاء بيتك.

انه زواج وليس متعة مؤقتة، والله تعالى عبر عنه بالميثاق الغليظ تحريما لحرمته، فكوني وفية لربك، فهو العليم بما يصلح بالك، ويحفظك من هجمات الهموم.

ثانياً: الأزواج

تمهيد:

يخطىء كثير من الرجال حينما يعتقد أن رغباته وحدها هي المقصودة من الزواج، وأن الزوجة وسيلة لاشباع غرائزه وعواطفه، دون اعتبار ولا نظر الى انسانيتها ولا ما يموج في داخلها من غرائز وعواطف قد تكون أقوى وأعنف من عواطف الرجل.

ولم يقتصر الانحراف من الرجل على أنانيته في علاقته الجنسية بزوجته، بل لقد تعدى الى أنانية الاستبداد بالرأي، والاستبداد بالحكم على المرأة دون نظر الى شريعة ولا ضمير.

لقد استبد الجهلاء من الآباء بتزويج بناتهم ممن أرادوا دون نظر الى رأي البنت، ولا احترام لرغبتها، واعتبروا ابداء رغبة الفتاة ضربا من سوء الأدب لا يجوز في عرفهم المريض.. وغاب عن هؤلاء أن الرسول ﷺ أمر باستئذان الفتاة، واستأذن هو ابنته فاطمة رضي الله عنها حينما خطبها علي رضي الله عنه، وغاب عن علمائنا أن يركزوا جهودهم للقضاء على هذه البدعة الجاهلية، والعريقة في السوء، بالتدخل المباشر، لا بالوعظ الذي لا يجدي مع هؤلاء.

وتبعا لذلك فقد امتهن الأزواج من هذه الطبقة الجاهلة زوجاتهم، واعتبروهن مجرد متاع يؤخذ متى أرادوا، ويلقى به في الطريق متى أرادوا، حتى تأصلت في تلك الأدمغة المتعفنة جملة ما زلنا نسمعها من تلك المسوخ

الشوهاء هي: « المرأة كالنعل في رجل الزوج يرمي به متى أراد، ويغيره متى أراد ».

وقد اتخذ امتهان الزوجات صورة أخرى في بلاد الجزيرة العربيـة، اذ يتحتم على الزوجة ألا تشارك زوجها الطعام، وألا تشاركه مجلسه، بل تتخذ مكانها مع مثيلاتها من نساء المنزل المنبوذات اللاتي لم يصلن بعد الى شرف مجالسة صاحب الجلالة المسخ المشوه الجاهل.

بل ان أعجب العجب وأغرب الغرائب في دنيا المسوخ أن تبقى المرأة محتجبة ببرقعها وملابسها الضافية داخل المنزل، وفي خلوتها مع الرجل، ولا تكشف من جسدها إلا موضع اللقاء الذي يتم بهذه الطريقة التي تؤكد عدم الامتزاج بينهما. ويدل على ذلك أن الكلمات الموجهة لهؤلاء الرجال من النساء أثناء اللقاء كما علمنا من مصادرنا لا تدل مطلقا على ارتياح الزوجة ولا اندماجها مع زوجها. ومن هذه الكلمات على سبيل المثال: « كود كود » يعني اشتد. و « يعطيـك الحمى الجمة » يعني أصابك الله بحرارة بدل هذا البرود. و « يعطيك الطائف الذي له سفائف » أي أصابك الله بعفريت له زوابع بدلا من هذا الخمول.

انها ليست رغبة المرأة ولا رغبة الرجل، بل هي رغبة المجتمع في بعض البلاد، أو رغبة الطبقة في بعضها الآخر، بحيث أصبح الخروج على هذه التقاليد ضربا من الفضيحة والوبال.

ومن الغرائب: أن تتحكم نزوة المال في عصرنا في البلاد النامية لدى الأوساط الوضيعة، فيبيع الأب ابنته الصغيرة لحطام رجل لا يقوى على السير، ويقذف بها بعيدا عن وطنها، بحيث لا تجد ما يملأ أي فراغ في وجدانـها، لا من رجولة، ولا من عاطفة، ولا من منظر يسر العين الرمداء فضلا عن العين

السليمة.

ان بقايا العصر الحجري من الآباء الجهلة يجب أن يقهروا قهرا على الطريق الصحيح لتزويج البنات، لا سيما وأن هذا السلوك أدى الى عدة نتائج خطيرة على المجتمع كله، بل وعلى سمعة الكثير من بلاد الاسلام في العالم، ومن تلك النتائج:

١ ـ سكوت الفتاة التي زوجت دون ارادتها على مضض، وخوفاً من انتقام الوحوش الذي يأبون عليها أن تظهر آلامها، فضلا عن أن تحطم هذا القيد، وتنفلت من سلطة هذا الصنم الذي فرضت عليها عبادته جاهلية في بلاد الاسلام. ونتيجة هذا السكوت مجموعة من أمراض النفس تظهر آثارها على المرأة في صورة اكتئاب، واهمال كامل لمظهرها، حتى لا تفرق بينها وبين السوائم التي فرضت عليها خدمتها الى جانب خدمة البهيمة الكبرى التي ارتبطت بها برباط سموه رباط الزوجية، وهو منها بعيد.

٢ ـ الفشل الذريع في الزيجات التي تفرض على البنات خارج البلاد طمعا في المال، فما تلبث البنت أن تعود محملة بطفل هو بالنسبة لأهلها كل السعادة، وبالنسبة لها كل الشقاء. سوف يقبض الآباء المال، وسوف تحرم الفتاة من المتعة المباحة مع رجل لا يحتمل هذا الطفل الغريب، وان احتمله فسوف يحتمله بثمن باهظ ربما كان من صميم عرضها.

٣ ـ الانفلات والانفجار كلما عنت فرصة للانفلات والانفجار، وقد نشأ عن هذا الانفلات جيش من البغايا والداعرات يتعرضن سرا وعلانية للراغبين، في صورة خدم للسائحين أو غيرهم حيث لا يرجى لهن شفاء من هذا الداء الوبيل، وسمعة بالغة السوء لتلك البلاد التي تموج بهذه الجيوش من الداعرات بائعات الأعراض والأجساد على مستوى العالم كله، فليس هناك

أنجس للسمعة من امرأة ترتزق من عرضها، وتربي أولادها من تأجير جسدها.

الزوج كما تريده الشريعة:

وقد قررت شريعة الاسلام بالنسبة للرجل من التشريعات ما يكفل للزواج النجاح، وما يحفظ للزوجة حقوقها المالية والعاطفية والجنسية والانسانية على صورة مشرقة بعيدة عن التفضل أو الاستجداء.

وفي نفس الاتجاه الذي حددته الشريعة للزوجة اتجهت بالزوج ليحقق مقدمة، ونتيجة، وهدفا.

أما المقدمة فهي: أن يكون الزوج - كما كانت الزوجة - جامعا لعدد من السجايا والخصال والسمات تهيء الزوجة للاندماج معه في وحدة متكاملة، وليكون لباسا ضافيا من العاطفة يغمرها بفيض من الرضا والطمأنينة والسكون. وأما النتيجة فهي قصر عين زوجته وعواطفها عليه وحده بحيث لا تتعداه ولا ترضى به بدلا. وأما الهدف الأسمى فهو: أن يكون البيت المسلم ساكنا من الاضطراب فياضا بالمودة والرحمة، على الأبناء، مشعاً بهما على المجتمع مبادرة وتجاوبا، وهو ما ينشده الاسلام من بناء مجتمع الجسد الواحد، وأهم هذه التشريعات:

أولاً: أن يكون الزوج من اختيار الزوجة وحدها. وذلك بأن تستأمر حين يتقدم اليها، فتبدي رأيها صراحة بالموافقة عليه أو رفضه، واحترام رغبتها احتراما مطلقا، ما لم يكن فاسقا مجاهرا، أو ذا سمعة سيئة بين الناس.

وفي استئذان الزوجة يقول رسول الله ﷺ كما في الصحيح: «البكر تستأذن، وإذنها صماتها، والثيب تستأمر». أي أن الثيب لا بد أن تنطق

صراحة برأيها، أما البكر فلخجلها ربما سكتت، وسكوتها هو رضاها ان لم تنطق.

وفي صلاح الزوج يقول رسول الله ﷺ فيما أخرج البخاري: «ان جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

فلم يحدد رسول الله ﷺ من صفات الرجل الجمال كما حدده في المرأة، حافزا للاختيار، لأن مقياس الزوجة يختلف عن مقياس الزوج، فاذا كانت المرأة ترغب لجمالها ومالها، فان الرجل يرغب لخلقه ودينه ما لم يكن دميما تنفر منه العين، ويصيب النفس بالاشمئزاز، فالزوجة تأنس الى الخلق والرجولة، ومع ذلك فهي تنفر من المنظر الكئيب شأنها في ذلك شأن الرجل.. ومن ترفضه امرأة ترضى به أخرى، ومن يرفضها رجل يرضى بها آخر، وسبحان من خالف بين الأذواق ليكمل عمران الحياة.

وقد أباح رسول الله ﷺ لإحدى النساء أن تنفصل عن زوجها ثابت بن قيس لأنه كان دميم الخلقة، أسود اللون، قصير القامة، وقالت في شكواها لرسول الله ﷺ: اني لا أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الاسلام.. أي أكره أن أقع في جريمة الزنا بعد الاسلام.

ثانياً: أن يكون قادراً على الوفاء بالحقوق الجنسية للزوجة، بريئا من العجز الجنسي، ومن حقها رفضه صراحة اذا كان مصابا بالعنة.. وقد أباح رسول الله ﷺ لاحدى النساء أن تطلب الانفصال عن زوجها لهذا السبب وقد قالت في شكواها: ان ما معه كهدبة الثوب. أي: ان عضو تذكيره لين كالخرقة ولا ينتصب.

ثالثاً: أن يحترم انسانيتها، ويشاركها رغباتها في اللهو المباح.. هكذا أمر

رسول الله ﷺ في حديث الترمذي فقال: « ... ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن ». وليس من الاحسان أن تأكل ما يفضل من طعام الرجل، بل أن يشاركها الطعام كما جاء في حديث معاوية بن حيدة عند أبي داوود قال: يا رسول الله.. ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: « أن تطعمها اذا طعمت، وتكسوها اذا اكتسيت، ولا تقبح الوجه، ولا تضرب، ولا تهجر الا في البيت، كيف وقد أفضى بعضكم الى بعض ».

وفي حديث الترمذي عن عائشة: « أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله ».

فالتعالي على الزوجة، وعدم رعاية مشاعرها من أخلاق الجاهلية، وليس من أخلاق الاسلام، وليس من عوامل التقارب العاطفي بينهما. وقد هدم رسول الله ﷺ هذا الخلق الجاهلي بسنته العملية. ويحقق هذا ما أخرج الشيخان عن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكانت عندي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ اذا دخل ينقمعن منه (أي يقمن اجلالا له) فيسربهن (أي يرسلهن سرا) ليلعبن معي.

فلم يشأ رسول الله ﷺ أن يبقى على هذا الخلق الجاهلي، وانما أراد أن يعلم الأمة أن مسايرة الزوجة في هواياتها المباحة هو عنوان الرجولة الحقة، وليس التعالي الفارغ الذي مازال قائماً في بعض البيئات الجاهلية.

وقد أرادت عائشة رضي الله عنها أن تعلن هذه الخصلة التي تمزج بين قلبي الزوجين فلا تدع بينهما هوة واسعة، لتصحح المفهوم الجاهلي الخاطىء الذي يقضي بعزل الزوجة عن الزوج في الحياة العامة. فقالت فيما أخرج الشيخان: « دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد، فقال لي: يا حميراء، أتحبين أن تنظري اليهم؟ فقلت: نعم.. فأقامني وراءه،

فطأطأ لي منكبه لأنظر اليهم، فوضعت ذقني على عاتقه، وأسندت وجهي الى خده، فنظرت من فوق منكبه، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، فجعل يقول: يا عائشة، ما شبعت؟ فأقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، حتى شبعت.

قالت: وما بي حب النظر اليهم، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي، ومكاني عنده، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو».

ومن السنة العملية التي تحث الأمة على أن اللهو مع الزوجة ليس من اللهو المحرم، بل هو من اللهو المشروع للمزج بين قلبيهما، والذي بادر بها رسول الله ﷺ عائشة دون أن تطلب منه شيئا: ما أخرجه أبو داوود عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وهي جارية، قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن (أي لم أضعف) فقال لأصحابه: تقدموا. ثم قال: تعالي أسابقك. فسابقته فسبقته على رجلي، فلما كان بعد، خرجت في سفر معه، فقال لأصحابه: تقدموا: ثم قال: تعالي أسابقك، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم وبدنت، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذا الحال؟ قال: لتفعلن، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: هذه بتلك السبقة».

بل ان التقارب والاتحاد بين الزوجين ليبلغ مداه في حديث عائشة عند مسلم وغيره قالت: «ان كان رسول الله ﷺ ليؤتي بالإناء فأشرب منه وأنا حائض، ثم يأخذه، فيضع فاه على موضع في، وان كنت لآخذ العرق (اللحم المختلط بالعظم) فآكل منه، ثم يأخذه فيضع فاه على موضع في».

هذا رد عملي بوجوب القرب من الزوجة ومشاركتها الحياة حتى في حال الحيض، وهو موجه الى كل من لا يزال مخالفا لتعاليم الاسلام بعزل الزوجات في البيوت لاسيما في حال الحيض، وذلك لدوام التآلف والمودة التي قد يخدشها مثل هذا السلوك المعيب، فيباعد بين القلوب، ويجعل التقارب العاطفي عصيا

وعسيرا بعد ذلك.

واعتزال النساء في الحياة المنزلية من عمل الجاهلية، واعتزالهن في حال الحيض من عمل اليهود، وقد هدم الرسول ﷺ عمل الجاهلية بالسنة القولية والفعلية، وهدم فعل اليهود بسنته العملية كما رأينا، ثم هدمه بسنته القولية حينما نزل قوله تعالى: ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وكانت اليهود اذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها (أي لم يخالطوها) في البيت، فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن (أي خالطوهن) في البيوت واصنعوا كل شيء الا النكاح».

بل ان رسول الله ﷺ ضرب المثل الأعلى للأزواج في مخالطة الزوجات، فشارك أهله في خدمة البيت. ففي «الشمائل» أنه كان يرقع الثوب، ويكنس البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل.

رابعاً: أن يكون نظيفا جميل المظهر.. وليس ذلك في وقت اللقاء الجنسي فحسب ولكن في كل الأوقات كما تكون الزوجة تماما.

ويخطيء الكثير من الرجال حين يرى أن المرأة يعجبها الرجل على كل حال من أحواله، سواء أكان قذر الثوب خبيث الرائحة، أبخر الفم أو كان نظيفا طيب الرائحة. ولكن المرأة كائن حي عاقل له ذوق قد يكون أرق من ذوق الرجل، فكيف يهدر احساسها وذوقها على هذه الصورة التي بقيت من تراث الجاهلية؟

انها تحس كما يحس الرجل وأكثر مما يحس الرجل في هذه الناحية، ولكن الحياء قد يمنعها من مواجهة الرجل بهذه العيوب المنفرة التي تباعد بين قلبها وبينه، وتحرمها من متعة الاتحاد الجنسي معه، وقد يمنعها خوفها على حياتها

الزوجية من التمزق، فتسكت على مضض وهي بعيدة عنه، ليس له منها سوى جسدها، أما قلبها فيتمزق ألماً، ويتحرق شوقاً الى اتحاد جنسي كامل.

وقد يؤدي اهمال الرجل لمظهره ونظافته الى وقوع الزوجة في الزنا، هكذا أخبر رسول الله ﷺ كما روى الطبراني أنه قال: «اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا، وتزينوا، وتنظفوا، فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك، فزنت نساؤهم».

وكان عبد الله بن مسعود وهو أشبه الصحابة هدياً برسول الله ﷺ يفعل ذلك ويقول: أفلا تحبه من امرأتك؟

وفيما أخرج الترمذي والنسائي أن عائشة قالت للنساء: «مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء، فإني أستحييهم منه، فان رسول الله ﷺ كان يفعله». وسياق الحديث يدل على أن أم المؤمنين لم تقل هذا القول من فراغ، وانما كان عن شكوى من النساء.

والخمس التي هي من الفطرة كما جاء في حديث الشيخين: «حلق العانة، ونتف الابط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب» وهي من النظافة الداخلية التي سنت للرجال والنساء، ولم يعف منها الرجال كما هو شائع في كثير من الأوساط.

وحتى تصفيف الشعر ودهنه وتطييبه. ففي موطأ مالك أن رسول الله ﷺ كان في المسجد، فدخل رجل ثار الرأس واللحية، فأشار اليه: أن اخرج، كأنه يعني اصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل ثم رجع، فقال ﷺ: «أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»؟.

وعند أبي داوود يقول رسول الله ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه» أي

يتعهده بتمشيطه ودهنه ونظافته.

ومن العادات المستهجنة التي اعتادها الكثير من الرجال، وهي بغيضة عند أصحاب الذوق من الرجال فضلا عن النساء وهن الرقيقات عادة التجشؤ بصوت مسموع. فاذا كان هذا العمل ينفر الرجل فلأن ينفر النساء أولى. وفيه أخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال لرجل يفعله: «كف عنا جشاءك (تكرعك) فان أكثركم شبعاً في الدنيا أطولكم جوعاً يوم القيامة».

وكان ﷺ - كما أخرج أبو داوود - يدمن أن يقول اذا رأى مسلماً لا ينطف ثوبه: «أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه».

وكان هو ﷺ أنظف الناس ثوبا، وأطيبهم ريحا، حتى كان يسبقه ريحه الطيب فيعرف أصحابه قدومه بشذاه.

وهل يعقل أن تحتضن الزوجة زوجها وهو قذر الثوب، خبيث الرائحة، أبخر الفم؟؟ بل انها تتحاشاه، وهي في الحقيقة تتحرق الى حضن آخر تستكين اليه في سرور من النفس، واستغراق من الوجدان.

خامساً: أن يكون رحيما بها، صابرا على بعض عوجها، رفيقا بها، حانيا عليها، وقد أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يفرك (أي يبغض) مؤمن مؤمنة، ان كره منها خلقا رضي منها آخر».

وفي خطبة الوداع قال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فانهن عوان عندكم». أي شبه أسيرات. وفي رواية: «رفقا بالنساء». وكان ﷺ يأمر أنجشة في السفر بالتمهل رفقا بالنساء ويقول: «رفقا أنجشة بالقوارير».

ولا تفتقد المرأة شيئا من العاطفة أكثر مما تفتقد الحنان من الزوج، وشعورها بهذا الحنو يجعلها تذوب وتفنى في شخصيته، وتهيم به حبا، لأنه

حينئذ يمثل الأب والزوج والأخ والصديق، وهذا هو سر المرأة الذي تشكوه كلما استبد بحياتها الزوجية طائف من العواصف والزوابع.

ومنه: أن تحس الزوجة أن زوجها يتغاضى عن بعض عوجها في طباعها، وما أكثره، بحكم طبيعتها التي تنزع نحو الاستبداد بالرأي، والعناد، لأنه حينئذ يحيمها من شرور نفسها، ولا يكشفها ويعريهاأمام المجتمع، واذا حماها من نفسها هكذا فانه يحميها من غيرها، ومن عاديات الحياة كلها، وتلك الحماية هي أمنية الأنثى، وهي الموجة الساحرة التي تحتويها، وتضمها في سعادة بين أحانها الحالمة.

ومنه: ألا يكون قاسيا عليها في تأديبها حينما تقضي الشريعة بوجوب التأديب بالضرب. ولا يكون ذلك الا بعد الموعظة والهجر في البيت.. ولما كان الهجر طريقا الى اهدار للعلاقة الجنسية، واهدار للعلاقة العاطفية، فقد أبيح بعدها الضرب الخفيف غير المبرح لانهاء النزاع، وإعادة الحياة الى طبيعتها.. والا فقد استعصت الحياة، وأصبح من الواجب التحكيم.

والضرب المشروع انما هو عقوبة رمزية لا يقصد بها الايذاء، وانما يقصد به الإشعار بالغضب، أما ما يراد به الايذاء فربما كان قاطعاً لأواصر المودة والرحمة وغيماً قاتماً في سماء السكن الآمن.

وقد حذر رسول الله ﷺ من المبالغة في الضرب حفاظاً على العواطف المتبادلة فقال فيما أخرج الترمذي: «لا يعمد أحدكم الى امرأته فيجلدها جلد العبد، فلعله يضاجعها في آخر يومه».

هذا هو الأصل، وما عداه شذوذ. وذلك عند طائفة معينة من النساء لا تتحرك عواطفهن الا تحت تأثير الاضطهاد العنيف، وهو مرض نفسي

معروف تصاب به النساء، ويصاب به الرجال كذلك. ويغلب على النساء في الأوساط الشعبية، وعلى الرجال في الأوساط المترفة.

سادساً: أن ينظم علاقته الجنسية بزوجته، فلا يهجرها مدة تنسى فيها زينتها وأناقتها. فهي لا تنسى أناقتها وزينتها الا ويتبع ذلك خمول عاطفي وجنسي عند أهل الخلق والدين. أما عند غيرهن فانها تبحث عن متاعها حراما بعد أن فقدته حلالا.

وقد حث رسول الله ﷺ الأزواج على اتيان زوجاتهم، واعتبره عملا صالحا يثاب عليه مثل بقية الأعمال الصالحة. وفيه أخرج مسلم: أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا له: يا رسول الله.. ذهب أهل الدثور (الثروة) بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم. قال: «أوليس قد جعل لكم ما تصدقون؟ ان بكل تسبيحة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة». قال: يا رسول الله.. أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر»؟ قالوا: بلى. قال: «فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر».

وكان رسول الله ﷺ وفقهاء أصحابه يتابعون الحالات التي يهمل فيها الرجال نساءهم دون أن يجددوا نشاطهن العاطفي والجنسي بالنصح والارشاد.

ومن ذلك ما أخرج أحمد أن زوجة عثمان بن مظعون كانت تختضب وتتطيب، ثم تركت ذلك، فدخلت على عائشة يوما بدون طيب ولا خضاب، فعجبت عائشة، فسألتها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: يا أم المؤمنين، ان عثمان لا يريد الدنيا، ولا يريد النساء. فدخل رسول الله ﷺ، فأخبرته عائشة بذلك، فدعا عثمان فقال: «يا عثمان.. تؤمن بما نؤمن به»؟ قال: نعم.. قال:

« فأسوة لك بنا ».

وأخرج البخاري أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وبين أبي الدرداء، فجاء سلمان يزوره، فاذا أم الدرداء مبتذلة (تاركة زينتها) فقال: ما شأنك يا أم الدرداء؟ قالت: ان أخاك أبا الدرداء يقوم الليل، ويصوم النهار، وليس لي في شيء من الدنيا حاجة.

فجاء أبو الدرداء، فرحب به، وقرب اليه طعاما، فقال سلمان: اطعم. فقال: اني صائم. قال: أقسمت عليك لتفطرنه، ما أنا بآكل حتى تأكل. فأكل معه، ثم بات عنده، فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان، وقال: يا أبا الدرداء، ان لبدنك عليك حقا، ولربك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، صم وأفطر، وصل، وائت أهلك، وأعط كل ذي حق حقه.

فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن ان شئت. فقاما، فتوضآ، ثم ركعا، ثم خرجا الى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله ﷺ بالذي أمره سلمان. فقال رسول الله ﷺ: « صدق سلمان ».

وفي عهد عمر بن الخطاب شكت امرأة اليه طول مباعدة زوجها اياها، فحكم كعب الأسدي أن يأتيها كل أربعة أيام مرة وقال: هو أعدل.

وهكذا ينهج الاسلام بأهله منهج تجديد العواطف والعلاقة الجنسية لاستبقاء الزوجة ريحانة للبيت تنشر في أرجائه البهجة والسرور والمرح، وتتجدد بذلك حيوية الرجل، فلا يضعف لطول الهجران، وذبول زهرة البيت، فهما من ثم يمد كل منهما الآخر بأسباب الحيوية والبهجة والقوة.

سابعاً: أن يتجنب مفاجأتها بعد طول الغياب، فاذا كان في سفر ثم عاد لم

يفاجىء زوجته بالدخول، واذا أراد اللقاء لم يفاجئها به دون تنبيه في كلا الحالين.

وأصل ذلك في السنة النبوية ما أخرجه الشيخان عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخلها، فقال ﷺ: «أمهلوا، لا تدخلوا ليلا ـ يعني عشاء ـ حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة».

والمغيبة هي التي غاب عنها زوجها، وهي عادة تهمل زينتها كما تترك شعر عانتها يطول، والاستحداد ازالة هذا الشعر.

والهدف من هذا التشريع هو ابقاء الرغبة في الزوجة قوية بحيث لا يجد منها أن يطلع الزوج على عيوبها: من تشعث الشعر، وطول شعر العانة، واهمال الزينة، بل يجدها دائما في حال من الجمال والزينة والأناقة والرشاقة يبقى على سرور النفس، وحيوية الرغبة.

وقد كان الصحابة لا يفجأون زوجاتهم بالدخول عليهن في الأحوال العادية دون تنبيه واشعار بدخولهم، فربما كانت الزوجة في حال انفرادها على وضع لا يليق أن يراها عليه الزوج.

وربما كانت الزوجة مشغولة ببعض عمل البيت حتى أهملت بعض زينتها واستعدادها للقاء، والزوج راغب في اللقاء، ومن هنا كان تنبيه الزوجة أولى، وأدوم لتعلق النفس والقلب بها، وأحفظ لها من دواعي النفور والملل من جانب الزوج.

ومن المفيد كل الفائدة في توثيق العلاقة الزوجية من الوجهة الجنسية بوجه خاص أن يطول ايناس الزوج لزوجته في الليلة التي يعتزمان فيها اللقاء، فشعور الزوجة برغبة زوجها في الائتناس بها قبل اللقاء بوقت طويل، وفي

جلسة حرة من القيود ومن التقاليد، يفعل فعل السحر في نفسها وقلبها، ويهيء لها قدرا عظيما من الاستمتاع النفسي، ويروي كبرياء الأنوثة فيها، ويمهد لنجاح اللقاء الجنسي، وللاشباع والاعفاف المنشودين من الزواج.

ثامناً: ألا يذيع ما بينه وبين زوجته من أسرار اللقاء أمام الناس. وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذا الصنيع نهيا شديدا فقال فيما أخرجه مسلم وأحمد والبيهقي: «ان من أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه (أي يصل اليها بالمباشرة وتصل اليه) ثم ينشر سرها».

ويظهر أن هذه العادة كانت شائعة منذ عصر النبوة في الرجال والنساء جميعا، مما دعا رسول الله ﷺ الى التحذير منها على مستوى المرأة والرجل، فقال في مجلس قد اجتمع فيه الرجال والنساء عنده فيما أخرجه أحمد وأبو داوود: «لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها»؟ فأرم القوم (أي سكتوا). فقالت أسماء بنت يزيد: اي والله يا رسول الله.. انهن ليفعلن، وانهم ليفعلون. قال «فلا تفعلوا، فانما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون» وفي رواية: «ثم راح وتركها».

وخطورة افشاء أسرار الزوجية تأتي من ناحيتين:

احداهما: خاصة بالزوجة، فهي أكثر حياء من الزوج، وإفشاء أسرارها يدفعها الى كبت مشاعرها، وعدم التفريغ النفسي عند اللقاء، حتى لا تبدو منها تعبيرات غير عادية يستغلها الزوج في الحديث بها الى الناس تفاخرا برجولته وقدرته على استخراج مكنون المشاعر النسائية.

فالمشروع أن الرجل ستر على زوجته، والمرأة ستر على زوجها، يستمتع كل منهما بما يبدو من صاحبه من انفعالات نفسية وعاطفية وجسدية في الخلوة

وأثناء اللقاء، ويدع كل منهما صاحبه على سجيته في التعبير عن انفعالاته بما يريد من الوسائل المباحة، وهذا هو التفريغ النفسي والعاطفي الضروري للقضاء على جميع العقد الناشئة عن الكبت، واللازم للوصول الى صحة نفسية كاملة وباعثة على السرور واعتدال الصحة الجسدية.

وهذه الانفعالات تتسم بالجبن الشديد عند الزوجة، كما أن ثوران الغريزة نفسه يتسم بالجبن عند الزوجين، فاذا انكشف شيء من هذه الانفعالات النسائية خارج بيت الزوجية امتنعت الزوجة عن الاستجابة له مرة أخرى، ومن ثم تصاب بأمراض الكبت، فضلا عن أن تزهد في هذا الزوج الذي لا يسترها أمام الرجال. كما أنه اذا انكشف الثوران الجنسي أمام طفل رضيع أو أمام صبي يافع فانه يبرد على الفور، وهذا هو الجبن في الغريزة وانفعالاتها.

والثانية: هي ما هدف رسول الله ﷺ الى التحذير منه حين صور إفشاء الأسرار من كلا الزوجين على أنه صورة جنسية شيطانية معروضة في الطريق العام. والفتنة الشيطانية المعروضة في الطريق العام تتوق اليها النفوس الآثمة، بل وتنفق في سبيل الحصول عليها أعز الأموال.

واذا كانت ألوان النساء في التعبير عن العواطف والانفعالات عند اللقاء مختلفة، وكذلك ألوان الرجال، فان عرض هذه الانفعالات بنوعيها ربما صادف نفساً هاوية للتغيير، معتادة البحث عن هذه الألوان، فتحاول هذه النفس الخبيثة أن تصل الى هذا الزوج أو الى تلك الزوجة على طريق الحرام، وهو الأمر الذي حذر منه الرسول ﷺ صراحة بقوله: «ليس منا من خبب امرأة على زوجها». أي أفسدها. ولا يغلب هذا الافساد الا اذا تعرضت المرأة للرجال بدلها وفتنتها وغوايتها، أو بلغهم من أسرارها ما يدفعهم الى

محاولة الوصول اليها .

تاسعاً : أن يستمسك الرجل بمقومات رجولته الشكلية والذاتية ، فلا يتشبه بالمرأة في ملابسه وفي تشكيل شعره كما هو معروف بين الكثير من شبابنا الآن في كل بلاد الاسلام .

ومنذ أربعة عشر قرنا حذر رسول الاسلام ﷺ من هذه الفتنة العمياء بقوله : « لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء والمتشبهين بالنساء من الرجال » .

وتأتي هذه البدعة كما قلنا ثانية ببدعتين هما أخطر البدع على الاسلام في العصر الحديث ، وهما فيما يعرف باسم « ثقافة الشباب » . تلك الثقافة التي تتمثل في أخطر مظاهرها وأهونها في أعين البلهاء ، وهما : الموسيقى الصاخبة التي بدأها « البيتلز » . أم ما يترجم خطأ باسم « الخنافس » . والتي تضج بها اذاعات العالم الاسلامي ، وفي أنواع الملابس التي لا تفرق بين الجنسين وهي « الجينز » .

وقد لجأ الغرب الى هذين السلاحين الخطيرين بعد أن فشلت كل أسلحته للقضاء على الاسلام ، وهما سلاحان يأتي تأثيرهما تدريجيا وبطريقة غير محسوسة ، ويتجهان الى ايجاد حالة تمرد من الشباب على الأسرة والمجتمع .

ويقول : « جانسون » : أن خطورة « الجينز » تأتي من أنها تلغي الفوارق والمزايا والاختلافات الفردية بين الجنسين ، وتلغي شخصية الفرد تماماً في نهاية الأمر .

وأعماق الحياة الزوجية كما أرادها الله من الفطرة هي : تفريغ عاطفي وجنسي تستمتع به الأنثى من شخصية الرجل ، ويستمتع به الرجل من

شخصية الأنثى. فاذا ذابت الفوارق بين الجنسين، وألغيت شخصية كل منهما تماما بقي هذا الفراغ الهائل في داخل الرجل والمرأة دون أي شيء يملؤه.. ومن ثم يلجأ الجنسان إلى الشذوذ لملء هذا الفراغ،وهما لا يحصلان على نتيجة من هذا الشذوذ فيلجآن الى الاغراق في المسكرات والمخدرات وأقراص الهلوسة، والمشمومات وغيرها مما ينقل الانسان الحائر من دنيا الواقع الى دنيا خيال كلها ملل ينتهي الى الانتحار، وهو الأمر الذي تشكو منه الشعوب التي صدرت الى العالم الاسلامي هذه البدع.

أقول وأعيد القول: ان كل البدع المستوردة انما تهدف الى تحطيم كيان الأسرة الاسلامية، وكل التشريعات الاسلامية انما تهدف الى قوة بنائها، ابتداء من الزوجين في صورتها الفطريةالمنطلقة في اطار الزوجية الشرعية الذي يحترم مشاعر كل من الزوجين وعواطفه، ويحوطهما بالرعاية والحماية والسرية، كما يزودهما بمقوماتها الطبيعية الفطرية غير المصنوعة.

فاذا كان بين شباب الاسلام من يجري وراء البدع المستوردة، فان «جانسون» يرى أنها بدع أشد تهديداً وفتكاً بالمجتمع الاسلامي من التحديات الضخمة السافرة التي تأخذ شكل زيادة الاتجاه نحو التحضر والتصنيع والتقدم التكنولوجي ومجتمع الوفرة والاستهلاك، وكلها أسلحة فتاكة لا يدري المسلمون بفعلها الخبيث في مجتمعهم.

ثم أقول: ان كل ما يستهوي المرأة في الرجل انما هي القوة التي تنبض بها شخصيته، وليس التخنث الذي يفوح من شخصية المتشبه بالنساء. وقد كانت تلك القوة هي التي دفعت ابنة شعيب عليه السلام الى ابداء رغبتها الى أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام قائلة. ﴿**يا أبت استأجره، ان خير من استأجرت القوي الأمين**﴾ (القصص: ٢٦).

فاذا ظن الشباب أنه بتخنثه يستهوي زوجته أو من يريد الزواج بها فهو

خاطىء كل الخطأ، وانما هو يدفعها بذلك الى البحث عما يملأ فراغها خارج بيت الزوجية، وتلك هي مصيبة العصر التي انحدرت الى عالم الاسلام بوساطة الجهلاء من المسلمين الذين يملكون المال، وليس أشر على أمة من الأمم من مال في أيدي الجهلاء.

والتخنث خلل وفساد في شطرَ من شطرين لا بد أن يختلفا في المظهر والسمات ليمكن اندماجها في وحدة اللباس والسكن، وينتج عنهما المودة والرحمة.. وهذا الخلل يجعل هذا الاندماج مستحيلا كما يستحيل أن يندمج الموجب مع الموجب، أو السالب مع السالب من الكهرباء لينشأ عنهما النور.

اللقاء الجنسي

حقيقة الشبق الجنسي:

يقول علماء الطب: ان الشبق الجنسي ما هو الا جوع عضوي كالجوع الى الطعام يمكن اشباعه بمجرد اللقاء بين زوج وزوجة.

ونقول: انه قد يحدث اللقاء بين زوج وزوجة، ويتم اللقاء من الناحية الشكلية، ويفتر الشبق قليلا بعد هذا اللقاء، ولكن الجوع الجنسي يبقى كما هو، بل يزداد الزوجان أو أحدهما تطلعاً الى اشباع من نوع آخر غير مجرد الافراغ الجنسي العابر.

وهذا يدل على أن الشبق الجنسي ليس جوعاً عضوياً كالجوع الى الطعام، بل يشبعه شيء آخر غير مجرد الافراغ.. ولو كان مجرد جوع كالجوع الى الطعام لكانت أي امرأة كافية للرجل، ولكان أي رجل كاف للمرأة، ولكن الواقع يشهد بأن نفوس الرجال تعاف البعض وتميل الى البعض، وكذلك نفوس النساء مما يؤكد أن الشبق جوع ولكنه ليس عضوياً، وأن هناك شيئاً زائداً على الشبع العضوي لا يتم الاشباع الا به. وهذا الشيء الزائد هو الصفات الدافعة للزوج الى اختيار الزوجة، والزوجة الى اختيار الزوج.

انه الشيء الذي حث رسول الله ﷺ الراغبين في الزواج من أجله على نظر بعضهم الى بعض قبل العقد، وعلل هذا النظر بقوله: « فإنه أحرى أن يؤدم بينكما ».

وقال في حديث آخر: « ... ان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل ».

انه الجاذبية بين الزوجين، تلك الجاذبية التي لا ترتبط بالجمال الشكلي بأي رباط ولا آصرة، وانما هو موجات سحرية تنبعث من التركيب العام، والحركة العامة لأي من الرجل والمرأة نحو الآخر، فتدفعه نحو صاحبه في محاولة للاندماج المشبع ولو لم يكن هناك لقاء بالفعل.

قد يكون هذا الجاذب في المرأة للرجل جمال التركيب في جسدها، وقد يكون في سحر عينيها، وقد يكون في جمال صوتها وسحر حديثها، وقد يكون في دلها ونبض جسدها الصامت بالغواية والاغراء، أو هو مجموع هذه الاعتبارات مجتمعة. وقد يكون الجاذب في الرجل للمرأة رجولته التي ينبض بها جسده، وقد يكون في رزانته، وقد يكون في خفته، وقد يكون في شعورها بلسطانه والأمن الى جواره، وقد يكون في قلبه الحاني، وقد يكون وهو الغالب في احساسها بأثرها الفعال في نفسه وقلبه، وسلطان أنوثتها على رجولته سلطانا ينعكس عليها بالقوة والحنان معا.

من أجل هذا لم تكن عملية اللقاء الجنسي هي نهاية المطاف في أي زواج ناجح، وانما المقصود هو: خلوة يتم فيها استمتاع كل من الجنسين بكل ما يستهويه في الآخر من السمات والصفات قبل اللقاء الذي يحد من شدة الهياج عند الطرفين، ولا يحد من جوع الجسد الى الجسد، والعاطفة للعاطفة، والأنوثة للذكورة، والذكورة للأنوثة، فهو جوع دائم قبل اللقاء وبعده وفي كل حال من الأحوال لا يسكته الا السكن بين كل منهما والآخر.

فالشبق الجنسي على هذا فوق أنه سر من أسرار الله تعالى هو: جوع الرجل الى كل المرأة، وجوع المرأة الى كل الرجل، يحد من ثورانه اللقاء

الجنسي ولا يقضي عليه، فاللقاء الجنسي عامل من عوامل التهدئة، وليس عاملا من عوامل الاشباع، وانما يكون الاشباع مرهوناً باستجابة كل من الرجل والمرأة الى دوافع الاغراء والجذب في الآخر استجابة استغراق مقترنة باتساع دائرة الخيال وانطلاقه دون حاجز ولا حاجب من حياء ولا وقار... هو أن يتوافق الزوجان مع المسخرات الكونية في عمل ينسيان فيه نفسيهما، ويخضعان فيه للتسخير الإلهي المطلق.

ولهذا نجد أن التشريعات الاسلامية تتجه نحو تشجيع كل من الزوج والزوجة في تحقيق ذاته تحقيقاً كاملاً في هذا اللقاء، والا فان الكبت بما يصحبه من أمراض عضوية ونفسية يكون أمرا محقق الوقوع. وما الكبت الا إبطال لوظيفة عضوية أو وجدانية مكلفة بالعمل لتحقيق غاية وغايات تتصل برسالة الخلافة الانسانية على الأرض.

الاستمتاع دون جماع أثناء الحيض:

ولو كان المراد من اشباع الشبق الجنسي هو الجماع بذاته وحد لما شرع الاستمتاع بما دون الفرج من الحائض أثناء حيضها، لأن جماعها حينئذ حرام، والقرب منها لا يؤدي الغرض المقصود، وربما أوقع في الحرام.

ولكن الشخصية السوية المستقيمة تتطلب اشباعا آخر غير الاشباع الناشيء من اللقاء الجنسي، هو ما أشرنا اليه في الفقرة السابقة، وهو ما شرعه رسول الله ﷺ وفعله بنفسه تشريعاً للأمة في كل زمان ومكان، وحفظاً للعفاف بين الرجال والنساء على درجة قوية تتحدى نزغات الشيطان، وزيغ العيون، وميل القلوب الى ألوان الجمال التي اختلفت باختلاف الأذواق واختلاف البصمات في البنان.

وقد بين رسول الله ﷺ سلوك الزوجين بعضهما مع البعض أثناء حيض الزوجة فقال في حديث أنس الذي أخرجه مسلم وأبو داوود: « ... واصنعوا كل شيء الا النكاح». أي الا الجماع.

وأخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمر احدانا اذا كانت حائضاً أن تتزر، ثم يضاجعها. وقالت مرة: يباشرها». والمراد بالمباشرة هنا كما جاء في «النهاية» لابن الأثير الملامسة، أي لمس بشرة الرجل بشرة المرأة. أي يستمتع بجسدها على أي وجه غير الجماع.

ولم يكن الرجال وحدهم هم المتطلعون الى هذا النوع من الارواء، بل كان النساء يسألن عنه. وقد ذكر ابن سعدأن الصهباء بنت كريم سألت عائشة: ما للرجل من امرأته اذا كانت حائضا؟ قالت: «كل شيء الا الجماع».

وأخرج البيهقي في بعض أزواج النبي ﷺ قال: «كان النبي ﷺ اذا أراد من الحائض شيئاً ألقى على فرجها ثوبا ثم صنع ما أراد».

ومع هذا فقد حرم القرآن والسنة جماع الحائض. فقال تعالى: ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ (البقرة: ٢٢٢). يعني: اعتزلوا جماعهن. ونهى الرسول ﷺ عن جماع الحائض فقال فيما أخرج أبو داوود والترمذي: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهنا فصدقه بمايقول فقد كفر بما أنزل على محمد».

من هذه النصوص تظهر لنا حقيقتان:

أولاهما: أن العلاقة الجنسية بين الزوجين لا تقتصر على مجرد اللقاء الجنسي وهو الجماع، ولا يكون الشبق الجنسي قاصرا على الرغبة في الجماع، بل ان العلاقة الجنسية والشبق الجنسي هو مجموع أعمال من أعمال الاستمتاع المشتركة

بين الذكورة والأنوثة ومنها الجماع. أي هو جوع الذكر الى الأنثى وجوع الأنثى الى الذكر بكل مقوماتهما.

والثانية: أن هذا التفسير الذي تؤيده السنة العملية لرسول الله ﷺ يحقق ذاتية الأنثى بالنسبة للرجل، وهذا التحقيق يدفع المرأة دفعاً قوياً الى حب زوجها.. فالزوجة يسعدها ويشجعها أن تعلم أن زوجها لا يريدها للفراش الجنسي فقط، وانما يريد منها الائتناس بها، والاستمتاع بمميزاتها المتفوقة في الأنوثة في نظره، حتى في الحالات التي تدعو الى النفور والتقزز وهي حالة الحيض.. ولا شيء يؤلم المرأة نفسياً قدر ما يؤلمها يقينها بأنها مرغوبة للجماع وحده دون اعتبار زائد عليه. وهذا دليل آخر على أن الشبق الجنسي أمر مركب من الجماع وغيره من العوامل الجاذبة لكل من الزوجين نحو الآخر، وليس هو الرغبة في الجماع وحده الا عند انسان تنزع طباعه نحو طباع الحيوان الأعجم المحروم من أحاسيس الانسانية الرفيعة.

ومن الظواهر المؤكدة أن الكثير من الزوجات يسرهن ويسعدهن أن تكون خلوة زوجها معها في بعض الأحادين قاصرة على كل أنواع الاستمتاع ما عدا الجماع، حتى تتأكد من أنها مرغوبة من زوجها لذاتها، ومن أنها تملك قدراً كافياً من المغريات لزوجها غير الجماع. فاذا تأكدت أنها لا تملك مما يغري زوجها بها الا الجماع انقبضت عنه، وتغيرت نظرتها اليه، وفتر حبها له، الا اذا كانت هي الأخرى من النوع الحيواني الذي لا يتمتع بأحاسيس الانسانية الرقيقة، ولا يملك من دوائر الخيال ما يحقق ذاتية الأنثى.

حرية النظر الى العورات وتحسسها:

شاع بين الناس من المتوقرين أن نظر الزوج على عورة زوجته والزوجة الى عورة زوجها أمر غير محبوب في شريعة الاسلام، فضلا عما هو فوق النظر

من التحسس والعبث المباح.

واستند هؤلاء الى أحاديث منها:

١ ـ حديث عائشة عند الطبراني: « ما رأيت عورة رسول الله ﷺ قط ».
وقد أبطل الحافظ ابن حجر هذا الحديث حين ترجم لأحد رجال سنده وهو « بركة بن محمد الحلبي ». لأنه كذاب وضاع. وفي بعض أسانيده « أبو صالح بازام » وهو ضعيف، و « محمد بن القاسم الأسدي » وهو كذاب.

وعلى هذا الحديث يحمل حديث: « ما رأيت منه ولا رأى مني » الذي روته عائشة.

٢ ـ حديث: « اذا جامع أحدكم زوجته فلا ينظر الى فرجها، فانه يورث العمى ». وهو حديث موضوع كما قال ابن الجوزي وأبو حاتم الرازي وغيرهما.

وفي مواجهة هذه الأباطيل جاءت أحاديث صحيحة تبيح النظر والتحسس لكل من الزوجين الى عورة الآخر، ومنها:

١ ـ الحديث السابق الذي ذكرناه عن عثمان بن مظعون حين شكا الى رسول الله ﷺ حياءه من النظر الى عورة زوجته، فقال له رسول الله ﷺ: « كيف وقد جعلها الله لك لباسا، وجعلك لها لباسا »؟ قال: إني أستحيي من ذلك. قال: « فإني أفعله، وهن يفعلنه ».

٢ ـ حديث معاوية بن حيدة عند الترمذي وأبي داوود وابن ماجه أنه قال: قلت: يا رسول الله.. عوراتنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: « احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ». وهذا نص في اباحة النظر الى العورات بين الزوجين.

٣ - حديث عائشة عند الشيخين قالت: « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من اناء بيني وبينه واحد. فيبادرني حتى أقول له: دع لي، دع لي. وهما جنبان». واستدل الفقهاء بهذا الحديث على جواز نظر كل من الزوجين الى عورة الآخر. وقد سئل سليمان بن موسى عن الرجل ينظر الى عورة امرأته فقال: سألت عطاء فقال: سألت عائشة فذكرت هذا الحديث.

والمتأخرون يحلو لهم أن يتمسكوا بهذه الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة التي لا يحتج بها، ويضعوا اللقاء الجنسي بين الزوجين في صورة صامتة مظلمة تتفق تمام الاتفاق مع الصورة التي يمارسه عليها البدو مع زوجاتهم، ومع الصورة التي يعامل بها بعض المتنطعين كل النساء في بيوتهم، زوجات كن أو بنات، فلا يدخلون كل مستطيل من الخضر أو الفاكهة الى منازلهم الا بعد تقطيعه قطعا صغيرة يفقد بها صفة الاستطالة، وذلك خوفاً من أن يستعملنه في قضاء مآرب جنسية.

وهذا التفكير عجيب كل العجب ان دل على شيء فانما يدل على تقصير واضح من الأزواج نحو الزوجات في الممارسة الجنسية، وفي حرية الانطلاق أثناءها، نشأ عنه رد فعل حتمي من الزوجات للأزواج، حتى فقد الأزواج ثقتهم بالزوجات على هذه الصورة المزرية والوضيعة في المعاملة المنزلية.. انه تعفن في الفكر أدى بهؤلاء الى اعتقاد أن الخيار والباذنجان والموز وأشباهها يغني عن الفطرة التي خلقها الله في الانسان. وأظلمت عقول هؤلاء فابتعدوا عن السنة النبوية وهجروها عن عمد وغباء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ونقول من منطلق الصراحة في الدين، وعدم الحياء فيه، والحافظ على الأعراض من أن تجنح الى حرام، وعلى عيون النساء وقلوبهن أن تهفو الى غريب، نقول: ان مفهوم السنة هو: حرية استمتاع كل من الزوجين بالنظر

الى عورة صاحبه وتحسسها، والعبث بها، وكل يؤدي الى تهيئة كل منهما للقاء جنسي ناجح يعقبه اشباع واعفاف كاملان غير منقوصين.

وقد نقل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن ابن عروة الحنبلي في كتابه المخطوط «الكواكب الدراري» قوله:

«ومباح لكل واحد من الزوجين النظر الى جميع بدن صاحبه ولمسه، حتى الفرج، ولأن الفرج يحل له الاستمتاع به، فجاز النظر اليه ولمسه كبقية البدن. وهذا مذهب مالك وغيره، فقد روى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: رأيت مالك بن أنس وابن أبي ذئب لا يريان بأسا، يراه منها وتراه منه».

ولكن ابن عروة أبى الا التخليط في الأحكام، فقال: «ويكره النظر الى الفرج، فان عائشة قالت: «ما رأيت فرج رسول الله ﷺ». وهو حديث باطل من جهة السند كما رأينا، وغاب عن ابن عروة حال الحديث، كما غاب عن الحنابلة في جملتهم.

وقد نشأ الخلط من سوء فهم بقية حديث معاوية بن حيدة السابق اذ قال: يا رسول الله... اذا كان أحدنا خاليا؟ فقال: «الله أحق أن يستحيا منه»

وفرق واضح بين الحكم فيما اذا كان الانسان يغتسل عريانا وحده في الخلوة، وفيما اذا كان الانسان يمارس علاقة مشروعة عليها يقوم بناء الانسان السليم من العلل النفسية، والمجتمع البريء من الاضطراب الناشيء عن الكبت، ومن علة التنافر الناشئة عن انعدام المودة والرحمة.

على أن قول رسول الله ﷺ محمول على الندب كما قال الأئمة، ومنهم الشافعي وابن جرير الطبري، وعبد الرؤوف المنوي، لاسيما وقد ساق البخاري هذا الحديث تعليقاً في باب «من اغتسل وحده عرياناً» وذكر حديث أبي

هريرة في اغتسال موسى وأيوب عليهما السلام في الخلاء عريانين.

فهذه الجملة تبين حكم الانسان منفرداً، واباحة النظر تبين حكم تصرف انسان يتعلق بتصرفه حق الغير في مسألة حيوية بالغة الخطورة في حياة المسلمين، وهي العفة والاعفاف.

ويبدو أن جدلا طويلا قد ثار حول هذا الموضوع بالنسبة لفرج الزوجة بالذات. فبينما نرى ابن العربي المالكي يكره أن ينظر الرجل الى فرج امرأته، يرى الامام أصبغ: أن له أن يراه ويتحسسه كما يشاء. هكذا نقل ابن قدامة في المغني والسيوطي في «رقائق الأترج».

حرية التجرد من الملابس:

وتجرد الزوجين من ملابسهما عند اللقاء الجنسي، أو عند الخلوة بينهما دون لقاء مسألة تخضع للذوق، ولا تعارضها السنة، ولا يمقتها القرآن.

فالله تعالى يقول: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ (البقرة: ٢٢٣). يعني: على أي حال شئتم. والتجرد من الملابس حال من الأحوال التي يحلو لبعض الأزواج أن يمارسها، فهو داخل في عموم الآية.

والرسول ﷺ تجرد عن ملابسه هو وعائشة رضي الله عنها وهما يغتسلان كما ذكرنا من حديث الشيخين في الفقرة السابقة، وعليه فتجرد كل من الزوجة والزوج أمام الآخر عمل غير ممقوت في السنة، وان كان لم يثبت عن الرسول ﷺ أنه فعله أثناء اللقاء فان ذوقه الرفيع هو المانع له من ذلك، لا تحريمه في الشريعة، بل نقول: ان حب أمهات المؤمنين الشديد للرسول ﷺ كان يغني عن هذا العمل من جانبه، ولو احتاج اليه الرسول من زوجاته لفعله ﷺ. ولو كان التجرد في ذاته ممقوتا في الشريعة لما تجرد ﷺ هو وعائشة

أثناء الغسل، ولاغتسل منفردا، واغتسلت منفردة.

وقد أورد بعض العلماء حديثا ينهي فيه رسول الله ﷺ عن التجرد أثناء اللقاء الجنسي بين الزوجين هو: «اذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجردا تجرد العيرين».

وقد تتبع الشيخ ناصر الدين الألباني سند هذا الحديث بما يوهنه ويفقده حجيته في هذه المسألة، ونحن نسوق كلامه فيه، لعل فيه بلاغا لمن يريدون السنة الصريحة، قال:

«أخرجه ابن ماجه عن عتبة بن عبد السلمي، وفي سنده الأحوص بن حكيم، وهو ضعيف، وبه أعله البوصيري، وفيه علة أخرى، وهي: ضعف الراوي عنه، الوليد بن القاسم الهمداني، ضعفه ابن معين وغيره، وقال ابن حبان: انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم، فخرج عن حد الاحتجاج به. وجزم العراقي في تخريج الأحياء بضعف سنده. وأخرجه النسائي في عشرة النساء، والمخلص في الفوائد المنتقاة، وابن عدي عن عبد الله بن سرجس، وقال النسائي: حديث منكر، وصدقة بن عبد الله أحد رواته ضعيف. ورواه ابن أبي شيبة عن أبي قلابة مرفوعا وهو مرسل، وأخرجه الطبراني، والعقيلي في الضعفاء، والبيهقي في سننه عن ابن مسعود، وضعفه البيهقي بقوله: تفرد به مندل بن علي، وليس بالقوي. ثم ذكره بنحوه من حديث أنس وقال: انه منكر» ا. هـ.

فالحديث كما نرى مهلهل السند، فوق نكارة متنه، اذ الأمر بالاستتار حياء من الله معناه أن الله لا يراهما وهما مستتران، وهو قول ساقط، وكيف يستتران من عمل هو من القربات الى الله بنص الحديث، يؤجر الزوجان على إتيانه على وجه الكمال، وربما كان وجه الكمال عند البعض على هذا الحال،

وهو التجرد.

ونحن لا ننكر أن الملابس الجميلة تضفي على الزوجين مجالا، وتبرز جمالا ربما كان خافيا بدون اللباس، ولكن لنفترض أن شابا كان متهتكا قبل زواجه، ورأى من صناعة الفاجرات هذا الصنيع أول ما رأى فأعجبه، أفنمنعه ذلك وهو مباح في الأصل حتى يعود الى تهتكه بحجة الاحتشام؟ أو أن زوجا كان مستقيما ولكنه يعجبه جسد زوجته عاريا، أفنحرمه العفة بحجة الاحتشام؟ حاشا لله، فما كان للشريعة وهي تبيح له الفرج نفسه مكشوفا أن تمنعه الجسد.

حرية المداعبة والملاعبة:

جاء في السنة: أن المداعبة بين الزوجين مقصودة من اجتماعهما على هذا الوجه الشرعي المبارك.

فعند الشيخين عن جابر أنه تزوج امرأ ثيبا، فقال له رسول الله ﷺ: «تزوجت يا جابر»؟ قال: نعم.. قال: «أبكر أم ثيبا»؟ قال: بل ثيبا. قال: «فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»؟.

فالملاعبة بين الزوجين أمر مشروع بهذا الحديث، وحصره في البكر دون الثيب هنا ليس معناه ألا يداعب الزوج زوجته الثيب، وانما هو: أن البكر أشد حياء من الثيب عند اللقاء، والمداعبة مع الحياء أشد امتاعا وايناسا في الذوق الرفيع. كما أن البكر لم تجرب الرجال من قبل، فهي معجبة بمداعبة زوجها، وتختلف مداعبتها عن مداعبة الثيب التي تحتاج الى خبرة بنفسيتها وبما يعجبها مما لم يكن عند زوجها الأول.

وفي حديث الترمذي أنه ﷺ قال: «لا يقع أحدكم على أهله كما تقع

البهيمة، وليكن بينهما رسول: القبلة والكلام».

وعند الطبراني عن عائشة أنه ﷺ كان يقبل نساءه.

وعنده عنها: أنه ﷺ كان يمص لسان عائشة.

وأصل ذلك كله في القرآن قوله تعالى: ﴿ **زُين للناس حب الشهوات من النساء** ﴾ (آل عمران: ١٤).

فجعل المرأة بكل جسدها وروحها وانفعالاتها شهوة حببها الله للناس بحكم الفطرة، فلا عار ولا عيب في اعلان الرجال حبهم للنساء في جملتهن وتفاصيلهن، بل هو المسايرة الكاملة للفطرة، والتورع عن اعلانه معاكسة للفطرة مصادرة لها، بل هو مصادرة لحكم الله على عباده بهذا الحب. ومن ثم كان قوله ﷺ: «حبب إليّ النساء..». قولا صادقا، وصراحة فطرية، لا يخالفها الا لئيم الطبع، مدخول في دينه، مشوه في عقله، واحساسه، مكذب بما أنزل على رسول الله من الوحي، أو ناقص التكوين يداري نقصه بهذا الزهد الكاذب فيما حببه الله الى الناس.

ونحن نلاحظ من الكتاب والسنة أن حب شهوة النساء يبدأ من الرجل، كما أن الاستمتاع والمداعبة يبدآن من الرجل كذلك، فهل يعني ذلك أن المرأة لا تحب الشهوات من الرجال، وأنها لا تحب الاستمتاع بالرجل ومداعبته؟.

بلى.. انها تحب الاستمتاع بالرجل هي الأخرى وتهوى مداعبته، ولكنها بحكم ما ركب الله فيها من الحياء لا تستطيع أن تكون بادئة.. فالمبادرة من الرجل، والانفعال منها، ويتبع الانفعال أن تعبر هي الأخرى عن صدقها وغبتها في الاستمتاع بالرجل.

أي أن المرأة منفعلة فاعلة.. منفعلة بما يبادرها به زوجها من الملاعبة، فاعلة فيه بتجاوبها لملاعبته، وتعبيرها عن استمتاعها بها، وفعلها فيه حينئذ هو اثارته وتشجيعه على المزيد من الملاعبة، وعلى استغراقه في جمال ما تبديه من المشاعر والأحاسيس، وبتكرار الفاعلية من الرجل، والانفعال من المرأة وفاعليتها فيه تبدأ المرأة ملاعبة زوجها، والتعبير الصادق عن أنوثتها، وذلك حينما ينجح الزوج في تخفيف ستار الحياء أو رفعه.

فالرجل هو المسئول الأول عن نجاح هذه المقدمات في أداء دورها في انجاح العلاقة الجنسية، ما دامت المرأة قد تهيأت لزوجها بكل المقومات التي شرحناها، ولهذا وجدنا الواقع يؤكد أن المرأة في الحقيقة تنجح في أداء دورها بمقدار ما ينجح زوجها في مبادرتها بالملاعبة، وحملها على الاستجابة له، والتعبير عن مكنون مشاعرها. فهي تنتظر ما يبادرها به، وتخجل أن تعترض على ما لا يعجبها منه، ومن هنا كان على الرجل أن يكون ذكيا في تلمس ما يعجبها، ويركز عليه، حتى ينتهي الى الاعفاف المشروع، والى امتاع نفسه وزوجته الامتاع المشروع.

والرسول ﷺ يقول في الملاعبة: انها القبلة والكلام.

والترتيب النبوي بين القبلة أولا، والكلام ثانيا مقصود تماما. فقد كان ﷺ يبدأ نساءه بالقبلة أولا.. على هذا تجمع مصادر السنة في أبواب عشرة النساء، لاسيما «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد». الذي جمع فأوعى في هذا الباب. أما كيف تكون القبلة، فقد ترك هذا لكل زوجين حسبما يؤدي اليه طوقهما، وتقتضيه طبيعتهما. ولكنا نؤكد أن القبلة الحالمة الطويلة التي تستهدف الشفتين مع التزام بعضهما البعض جسديا، وتبادل الأنفاس والنظرات المعبرة أحيانا، وتحسس أماكن الاثارة هي أول عمل ناجح يريح الزوجة نفسيا، ويؤنسها

عاطفيا، ويشجعها على الاستجابة، ويمكن الزوجين من ارواء عاطفي عميق.

والقبلة لا تقتصر على الشفتين والوجه بحكم عمومها، وعموم النصوص، بل يمكن أن تتعداه الى أي موضع من الجسد يكون للعاطفة نحوه اهتزاز وميل. ويأتي أثناء ذلك وبعده: الكلام.

والكلام الوارد في الحديث ليس هو الكلام العادي في شؤون الحياة والمعيشة الزوجية، بل هو الكلام الذي يتعلق بالعلاقة الجنسية وحده.

ومستندنا في ذلك اللغة والآثار.

أما اللغة فما يدل على الكلام الجنسي من ألفاظها كثير نختار منه:

١ - **(الرفث)**: قال ثعلب في أماليه: الرفث: الجماع، والرفث: الكلام عند الجماع. وقال الجوهري في الصحاح: الرفث: الجماع. والرفث أيضا: الفحش من القول، وكلام النساء في الجماع. قال العجاج:

ورب أسراب حجيج كظم ... عن اللغا ورفث التكلم

وقال ابن عباس: انما الرفث: ما ووجه به النساء. وقال الأزهري: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة.

٢ - **(الغنج)**: وفي كتاب الأفعال لابن القرطبية: غنجت الجارية غنجا: حسن تشكليها. وفي القاموس: الغنج بالضم هو: الشكل بكسر الشين. والتبغنج أشد من التغنج. وفي المحكم لابن سيده: امرأة غنجة حسنة الدل، وغنجها: شكلها.

٣ - **(الشكل والدل والدلال)**: قال الجوهري: الشكل بالكسر: الدل.

يقال: امرأة ذات شكل. وقال ابن دريد: الدلال من قولهم: امرأة ذات دل، أي شكل. وأنشد قول الراجز:

قد قرنوني بعجوز جهمرش كأنما دلالها على الفرش

من آخر الليل كلاب تهترش

٤ ـ **(الهلوك)**: قال ابن فارس: امرأة هلوك اذا تهالكت في غنجها كأنها تتكسر. ولا يقال رجل هلوك. واللعوب الحسنة الدل.

٥ ـ **(العرابة والاعراب)**: قال ابن القرطبية في كتاب الأفعال: عربت المرأة اذا تحببت الى زوجها. وفي الصحاح: ومنه قوله تعالى: ﴿**عُرُباً أترابا**﴾ (الواقعة: ٣٧). وأعرب الرجل اذا تكلم بالفحش.. وقال ابن الأثير في النهاية: العرابة: التصريح بالكلام في الجماع. ومنه حديث: «لا تحل العرابة للمحرم». وفي القاموس: الاعراب: الفحش وقبيح الكلام.

وفي تفسير عبد بن حميد «عربا» يعني مغنوجات. والعربة: الغنجة. وقال ابن جرير: «عربا»: غنجات. وقد سئل عبد الله بن عمير عن معناه فقال: أما سمعت أن المحرم يقال له: لا يعربها بكلام يلذها به وهي محرمة.

هذا قليل من كثير، ونخلص منه الى أن الكلام المقصود في الحديث هو ما تقتضيه اللغة، وتشهد له الآثار عن كبار العلماء، وهو: فاحش الكلام وصريحه يوجهه الرجل الى امرأته في موضوع اللقاء الجنسي، مما لا يجوز أن يقال في غير هذا المقام، وهو استجابة المرأة لزوجها بالتدلل والاعراب والشكل وغيره من معاني الألفاظ التي أوردناها، مما يقصد به اثارة الشبق، وامتاع كل من الزوجين للآخر.

وقد ألف الامام السيوطي كتابا جامعا في هذا الباب سماه «رقائق

الأترج» ما زال مخطوطا، وقد أراد به كما يقول بيان الحكم الشرعي لهذا العمل، وزاد عليه من الفوائد ما لا يجده القارىء في غيره، كما ألف التيجاني كتابا حافلا سماه «تحفة العروس» في هذا الباب، وقد طبع منذ زمان.

فالكلام الصريح الفاحش في موضوع الجماع، والموجه الى الزوجة، ورد الزوجة على الزوج بمثله وبالشكل والتدلل والتهالك والعرابة عمل مشروع في الاسلام بنص القرآن على حل الرفث، وبكون هذه الصفات من صفات نساء الجنة، كما هو مشروع بنص الحديث الذي ذكرناه أول هذه الفقرة.. فلا وجه لمن قال من متأخري الفقهاء بالصمت المطبق عند اللقاء الجنسي، الى جانب الاظلام التام، وغير ذلك من الأعمال التي تتنافى مع الفطرة، وتكبت المشاعر الانسانية، ولا تنتهي بالفطرة الى غايتها المشروعة.

حرية الوضع الجسدي أثناء الجماع:

حدث تضارب شديد بين عادات المهاجرين وعادات الأنصار في الوضع الجسدي للزوجة أثناء اللقاء الجنسي، وأدى هذا التضارب الى نزاع بين الزوجات وأزواجهن، وكان الوحي فيصلا في هذا النزاع، حدد الطريق، وأتاح للأزواج حرية الوضع الجسدي على أي حال يتطلبه الذوق الخاص لكل زوجين.

قال ابن عباس فيما أخرج الحاكم والبيهقي وأبو داوود:

كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء الا على حرف (يعني على جنوبهن). وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذ

بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش (هم المهاجرون) يشرحون النساء شرحاً منكراً، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه وقالت: انما كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك والا فاجتنبني، حتى شري أمرها (يعني عظم واشتد) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ (البقرة: ٢٢٣). يعني مقبلات ومدبرات ومستلقيات في موضع الولد.

وقالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فيما أخرج أحمد والبيهقي:

لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوجوا من نسائهم، وكان المهاجرون يجبون نساءهم (من التجبية وهي أن تضع المرأة يديها على الأرض، وتنكب على وجهها وتقوم على ركبتيها). وكانت الأنصار لا تجبي، فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك، فأبت عليه حتى تسأل رسول الله ﷺ، قالت: فأتته فاستحيت ان تسأله، فسألت أم سلمة، فنزلت: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾. وقال: «لا، الا في صمام واحد» أي في مكان واحد هو الفرج.

وكان اليهود من وراء ذلك يعتقدون كما أخرج الشيخان أن الرجل اذا أتى امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**». فقال رسول الله ﷺ: «مقبلة ومدبرة ومستلقية اذا كان ذلك في الفرج».

وقال لعمر بن الخطاب فيما أخرج النسائي: «أقبل وأدبر، واتق الدبر والحيضة».

فالحرية مكفولة للزوجين في الشريعة الاسلامية في استمتاع كل منهما بأي

وضع جسدي يريده ويهواه من صاحبه ما دام مكان اللقاء واحدا وهو الفرج في غير الحيض. وما يقال من أن اردأ أشكال الجماع هو أن تعلو الزوجة الزوج فانما ذلك اذا أنزل الزوج وهو على تلك الحالة فقط. أما الوضع الجسدي ذاته فهو من الأوضاع المرغوبة للزوجة، لأنه وضع يكفل لها حرية الحركة في المواضع المثيرة لها، والتي تصل بها الى قمة لذتها سريعا ودون جهد كبير من الزوج، فاذا قارب الانزال عاد الى وضعه الطبيعي.

والقول بأن وضعاً جسدياً معيناً أفضل من بقية الأوضاع التي يهواها الزوج في الشريعة قول مناهض لنص القرآن العام المبيح لأي وضع يشاؤه الزوج، ومناهض للسنة التي حددت الاقبال والادبار والاستلقاء كأمثلة لعموم الأوضاع وليس لحصرها.

وحجم الزوجة وطبيعة جسدها وذوقها، وقدرة الزوج الصحية، وخبرته، وذوقه، هي الأمور التي تتحكم في الوضع الذي يهواه الزوجان ويستطيعانه.

صدق العمل الجنسي:

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق أن بلال بن أبي بردة قال لجلسائه يوما: ما العروب من النساء؟ فماجوا، وأقبل اسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلي، فقال: قد جاءكم من يخبركم، فسألوه، فقال: الخفرة المتبذلة لزوجها وأنشد:

يعربن عند بعولهن اذا خلوا   فاذا همو خرجوا فهن خفار

والخفر: الحياء الشديد. والتبذل: التهتك.

هذه هي صورة المرأة المسلمة في حياتها الزوجية: أن تكون شديدة الحياء في غيبة زوجها، وأمامه اذا كان في البيت غيرها، فاذا خلا كل منهما

بالآخر نزعت ثوب الحياء .

وأشد ما تكون الزوجة تبذلا لزوجها عند الممارسة العملية للعلاقة الجنسية . فهي المرحلة التي يتحقق بها الاعفاف لكل من الزوجين، وكسر شهواتهما أن تتطلع الى غير ما أحل الله لهما . ومن ثم كان بكل منهم أن ينطلق على سجيته ، وأن يروي ظمأه بالطريقة التي يهواها دون حرج ولا تحفظ.

وكان السلف يسألون الصحابة خوفاً من أن يكون هناك محظور في هذه المرحلة من العلاقة الزوجية . وقد سئل ابن عباس عن الشخير والنخير عند الممارسة الجنسية فقال : إذا خلوتم فاصنعوا ما شئتم .

والرسول ﷺ يقول في هذه الحالة : « اذا جامع أحدكم زوجته فليصدقها (يعني فليجامها بصدق) ، فان قضي حاجته قبل أن تقضي حاجتها فليصبر حتى تقضي حاجتها » .

ولأن الناس يختلفون قوة وضعفا ، وخبرة وجهلا ، فقد اكتفى رسول الله ﷺ بالتنبيه الى أهم عنصرين في العلاقة الجنسية : وهما : صدق العمل وجديته للوصول بالزوجة الى قمة شهوتها .

وما التشريعات السابقة من المداعبة وحرية الوضع الجسدي ، وحرية التبذل ، وحرية الكلام ، الا وسائل لتحقيق هذه النتيجة .

والاعمال في تحقيق هذه النتيجة يصل بالحياة الزوجية الى أوخم العواقب بل ان الاهمال في الوسائل هو الآخر يصل بالعلاقة الجنسية الى أسوأ حال . فقد ترتوي الزوجة جنسيا ولا ترتوي عاطفيا ، وقد ترتوي عاطفيا ولا ترتوي جنسيا ، وكلاهما شر مستطير على الحياة الزوجية .. ولذلك أكد رسول الله ﷺ على الرجال في مقدمات الجماع كما أكد عليهم أن يصلوا بالزوجات الى قمة النشوة .

والذين لا يصلون بزوجاتهم الى قمة الشهوة هم المصابون بسرعة القذف. وسرعة القذف نوعان: نوع يقذف فيه الزوج قبل الوصول الى زوجته، بل ربما بمجرد لمسها أو تقبيلها. وهذا النوع يتعرض لحالة خطيرة هي الشلل الجنسي الذي ينذر بالعنة السريعة، والكلمة فيه للطب، فاذا لم يجد من الطب تقدماً سريعاً فلا أمل فيه.

والنوع الثاني لا يستطيع أن يستمر طويلا في العمل الجنسي، وقد تكون الزوجة بطيئة.

ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر من تعرض لهذه المشكلة بحل عملي سوى السيد مرتضى الحسيني الزبيدي في كتابه «اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين» للغزالي قال:

«اذا كان الزوج سريع الانزال والزوجة بطيئة، فعليه أن يطيل مداعبتها على الفراش، ويكثر من التزامها (حضنها) ومص شفتيها، والعبث بثدييها، وتحسس أليتيها، وأعلى ظهرها، وجنبيها، فاذا بدا عليها التغير دلك بظرها برأس ذكره الهوينى، ويستمر على هذه الحالة دون ايلاج، فاذا ارتعدت وتغير لونها، وتقلص وجهها، والتزمته، أولجه رويدا رويدا حتى يصل الى الآخر، ويحركه داخلها بشدة دون اخراج (يعني في موضعه)، فانه لا توجد امرأة بطيئة الا أنزلت في هذه اللحظة. أما الأقوياء فالله يهب ما يشاء لمن يشاء» انتهى.

ومن أخطر ما يفعله الأزواج أن يفارقوا الزوجات عقب الانتهاء من الممارسة وكأنهم أزاحوا حملا ثقيلا عن كواهلهم. فهنا تشعر الزوجة أن الزوج يريدها لمصلحته هو، ولا يريدها لذاتها، وهذا الشعور يهز حب الزوجة لزوجها هزاً عنيفاً، وربما يقضي عليه.

والسلوك الصحيح هنا : ألا ينزع عقب الانزال، فاذا فتر بقي الى جانبها مختضنا لها، مستمرا في ملاعبتها كما كان قبل الممارسة، حتى يهدأ كلاهما، فيقوم ولا يفارق المكان لبعض الوقت.

أما الأقوياء فانهم يطيلون زمان الممارسة كما شاءوا، بشرط أن يحافظوا على السلوك الذي أوضحناه عند النهاية ولا يغفلوا عنه، لابقاء الحب بينهما قوياً نابضاً بالحياة.

والممارسة الجنسية الناجحة لا بد أن تجمع بين العنف واللين ممتزجين، فتبدأ هينة لينة حانية رقيقة، حتى تشتد رغبة الزوجة، فعندئذ يكون العنف الممتزج بالحنان، ويتردد بين هاتين الحالتين حتى النهاية. أما الاقتصار على لون واحد منهما فلا يعجب الزوجات، ولا يرضي أنوثتهن.

على أن هناك ناحية يغفلها الكثير من الأزواج، وهي ارضاء كبرياء الأنوثة عندهن، فلا يعاملها جنسيا معاملة المتاع المتهن، بل يشعرها بقيمتها عنده، وضرورتها له بأي أسلوب يتناسب مع شخصيتها، ومع درجة اعتزازها بأنوثتها، فتلك ثقافة يجب ألا تغيب عن الأزواج لمدى أهميتها في توثيق الروابط الزوجية، وفي بقاء شخصية الزوجة قوية نابضة بالحيوية.

وعلى الزوجة أن ترعى هذه المشاعر في زوجها تماما كما يرعاها هو فيها، وسوف تكون نتائج السعادة الزوجية باهرة ان هما فهما ووعيا، وسلكا هذا المسلك.

ومن المسلم به أن لكل زوجة مكانا خاصا يثيرها، ويعجل بها الى قمة شهوتها، سواء أكان هذا المكان في داخل مكان الجماع، أو في ظاهر الجسد، كالثديين، أو الشفتين، أو أي مكان يتحسسه الزوج، فمن الخطأ ألا يبحث

الزوج عن مكان الاثارة وطريقتها في زوجته.

وقد تكون الأصوات المعروفة بالشخير والنخير مما أباحه عبد الله بن عباس في الأثر الذي ذكرناه. وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر في تفاسيرهما كما نقل السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» أن معاوية بن أبي سفيان دعا زوجته «فاختة» الى نفسه، فنخرت نخرة شهوة، فاستحيت، فقال لها: لا عليك فوالله لخيركـن الشخارات والنخارات.

وروى السيوطي أن أحد القضاة جامع زوجته فتدللت ونخرت، فنهاها عن ذلك، فسكتت، فلما أراد جماعها ثانياً قال لها: عودي الى ما كنت عليه (رقائق الأترج ورقة ٩/أ).

خاتمة

وبعد ... فان الناس سوف يقفون من هذا الكتاب مواقف متباينة:

فمنهم: من يتقلص وجهه، ويستغشي ثوبه، ويستعيذ بالله جهلا وسخافة عقل قائلا: لقد عشنا مع زوجاتنا كيفما اتفق، ولم نشعر بالمعاناة في التقصير، ولا هفت نفوسنا الى تلك العلاقة الا شيئاً عابراً نتخلص منه كما نتخلص من فضلات الطعام، فلا حاجة للانسان بهذه التكاليف المعقدة التي لا جدوى منها.

وهؤلاء هم طوائف من الخلق تعيش كما تعيش الطفيليات بلا جذور ولا هدف، وليس لهم مأرب في بناء انسان متكامل يتخذ مكانه في مسيرة ذات رسالة محددة. ولا علم لهم بدين ولا بدولة، فهم يدينون بالاسلام على الطريقة الشعبية المائجة بالخرافة والأباطيل، وهم مستهلكون كما يستهلك المتاع البالي في البيت الخراب.

ومنهم: علماء أشرنا اليهم في الفصل الأول، وحاولنا أن نثير فيهم حمية الاتباع لرسول الله ﷺ في كل ما قال وفعل وترك وقرر لأمته، نبهناهم الى أنه لا خير في ابتداعهم نوعا من الأدب وهو من الأدب بعيد. فالأدب كل الأدب انما هو في سنة رسول الله ﷺ.

فادعائهم الزهد في النساء كدعوى جهلة الصوفية الزهد في الدنيا ليسرقوها من أصحابها في نفس مجلس التزهيد سواء بسواء.. وزهد الانسان

في شيء على فرض صدقه لا يبيح له أن يهدم كل ما جاء في الحث عليه من السنن.

ونقول لهؤلاء: إن شرهم على مجتمع الاسلام لا يعدله شر من شرور المنافقين ولا من شرور المتعبدين على جهل.

ومنهم: من جاوزت به الحياة مراحل الحيوية والنشاط، وأسلمتهم الى ضعف بعد قوة، وشيبة بعد شباب، وافقونا على كل ما أحييناه من السنن، ولكنهم رددوا في أسى عميق:

ألا ليت الشاب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

ولنا في هؤلاء كل الأمل أن يهدوا هذا الكتاب لأبنائهم وبناتهم من كان منهم في بيوت الزوجية، ومن كان مستشرفا على أبوابها، ليحققوا ما لم يستطيعوا تحقيقه بأنفسهم، ولهم أجر المتبعين ان شاء الله.

ومنهم: من أصيبوا بتعقيدات نفسية مستعصية، جزاء وفاقا لما جهلوا وجهلت زوجاتهم من أصول الحياة الزوجية السعيدة، فانحرفوا بأهدافها الشرعية الى أهداف موروثة عن الآباء والأجداد، فرغبت الزوجة في التسلط، وأبى الزوج الا أن يكون القيم بحكم الله، واستحر النزاع والشجار، وتحدى كل منهما أخاه، وفرغت حياتهما من كل عمل الا من أن ينتصر على خصمه العنيد اللدود، وافتضح الأمر بين الجيران، وبليت الرابطة بينهما، فلولا شباب وشابات من الأبناء لافترقا بالطلاق.

وهؤلاء لا مأرب لهم في هذا الكتاب، ولا أمل يرتجى لهم من صلاح حالهم، ولكن تلقين أبنائهم مبادئهم الخاوية هو الجرم الأكبر في حقَ الاسلام ومجتمع الاسلام... وعليهم أن يحولوا أبناءهم وبناتهم الى منهج الاسلام، وأن

يضربوا بميراث الآباء والأجداد عرض الحائط.

ومنهم: من اتخذ تزويج البنات تجارة يجمع المال من ورائها، أو يسد خلة فقره بها فلقنوا بناتهم أصول الكذب والخداع والاختلاس لتحقيق أغراضهم، وكانت خيانة المال أساس الحياة في مذهبهم حتى تنتهي بالطلاق وساحات القضاء، ويتعاقب الرجال على هذا النوع من النساء، ويتكدس الأبناء في البيت الواحد أو يتشردون وقد اختلف آباؤهم، وثار النزاع من أجلهم، وتتعقد المشكلات، حتى لا يجد البنات من يرضى بهن أزواجا، فيندفعن الى ظلمات الدعارة السرية، وينشأ جيش من هؤلاء البغايا يعمل في المجتمع عمل الجرثومة القاتلة لكل ما هو رفيع من الأخلاق والآداب والعقائد.

ومنهم: من تزوج حسب تقاليد بلده دون أن يرى عروسه، ولا يدري مدى موافقتها لذوقه، فاذا بها تحمل من صفات التنافر معه شكلا ومضمونا ما لا أمل معه في وفاق، وقد أثقلته تكاليفها الباهظة حسبما ورثوا وتعارفوا، ثم كان منها ولد، ولم يكن في السكن اليها أمل، ولم يكن في تكرار التجربة رجاء في خير..

وهؤلاء اما أن يلجأوا الى الشذوذ الجنسي يأملون فيه السكن واللباس.

واما أن يرحلوا الى البلاد النامية التي يكثر فيها البغايا وبناتهن من النوع السابق، ويتلقفهم السماسرة والوسطاء، ويقدمون لهم هذا النوع الممزق من البنات في صورة حياء مصطنع، وعفة مزيفة، وتكون الكارثة تلو الكارثة، ويكون للشيخ في كل دولة من دول الاسلام ولد وزوجة مطلقة، وروابط مهلهلة، وأحقاد متأججة، ومجتمع واهي الروابط..

واما ألا يكون هذا ولا ذاك، حيث تهديهم عقولهم المريضة الى اشباع

نزواتهم عن طريق الحرام يقطعون اليه آلاف الأميال، وينفقون في سبيله آلاف الدارهم والدنانير والريالات.

والكارثة التي تقع بالعالم الاسلامي بسبب هذا النوع من الناس لا يستطيع العقل تصورها ولا تصويرها في هذه العجالة.. فالمال الذي وهبه الله لهم لتنمية الموارد الاسلامية، وإعداد القوة لجيش الاسلام، واستيعاب البطالة والتشرد في دياره، ورفع مستويات الحياة بين مجتمع الجسد الواحد، هذا المال ينهال بلا حساب على من يستطيعون استغلاله في بلاد الغرب، أما في بلاد الشرق فهو ذاهب لا محالة الى جيوب المحتالين وتجار المخدرات والخمور المغشوشة وغير المغشوشة والقوادين والأفاقين والمجرمين المأجورين، وهكذا يهدر المال الاسلامي في سبيل احياء تقاليد بالية وعفنة لا تتفق مع دنيا الحيوان فضلا عن دنيا الانسان.

وهؤلاء لا أمل في صلاحهم الا بسلطان الاسلام وعصاه، من أي مك كان هذا السلطان وتسلطت هذه العصا، فالقضية هنا ليست قضية شعب، وانما هي قضية مجتمع الاسلام كله، ومسؤولية كل المسلمين حيثما وجدوا.. انها قضية مجتمع كبير تملك أمواله كل شعوبه... فبالأمس استغاث عمر عام المجاعة بعمرو حاكم مصر فأرسل اليه يقول: لقد أرسلت اليك عير أولها عندك وآخرها عندي، وكان المصريون سعداء بهذا.

ومنهم: من كانت بدايته في زواجه من أسعد البدايات وأعظمها توفيقا ونجاحا، ولكن أحد الزوجين تضرب جذور ثقافته وتقاليده الى ثقافة مجتمعات متحررة متحللة الأخلاق، فالاختلاط غير المشروع، والسهرات الجماعية، والتهريج الوضيع، والاباحية المخربة، هي قوام حياتهم، وأساس سعادتهم، وزودتهم أجهزة الاعلام المسمومة والمرئية والمقروءة بالحوافز الدافعة

الى المزيد .

وتبدأ الكارثة بتبادل الزوجات في حلقات الرقص ، وتحل تقاليد السهرات محل تقاليد الاسلام ، وتضل العيون بين الفتن المعروضة ، والأجساد العارية ، والغواية التي تسلب ألباب العقلاء ، وينسلخ هؤلاء من عالم الاسلام الى عالم الفوضوية والاباحية وجماعات تبادل الزوجات ، ويصبح مجتمع اللذات والشهوات سائدا على تعاون مجتمع الجسد الواحد ، ويصبح ولاء هؤلاء قاصرا على كل من يقدم لهم المزيد من الشهوات ، أو يخلصهم من ملل الشهوات من أباطرة الفوضوية واستعباد الانسان.

وهذا النوع من الناس هو الآخر « ميكروب » شديد العدوى ، لا خلاص للأمة منه الا بتسليط أشد المبيدات فتكاً عليه ، وشل عمله بالكلية ، فهي مجاميع من الخلق أينما توجهها لا تأت بخير ، بل انما الشر مهوى قلوبها ، ومنتهى آمالها .

ومنهم: شباب صالح كادح مستقيم الطريقة ، يرجو أن يكون له بيت وزوجة وأولاد يرعاهم ، ويزود بهم مجتمع الاسلام شباباً عاملين كادحين ، وزوجات صالحات قانتات .. فاذا ولى وجهه شطر الزواج والسكن والأمن هاجمته التقاليد العفنة ، والشروط القاسية ، والارهاق المعجز .. ويخوض هذا النوع من الشباب معركة رهيبة من العمل المضني ، والجهد الثقيل حتى ترضى الفتاة ويرضى أهلها بما فرضته عليهم تقاليد العصر ضد تقاليد الاسلام الهينة اليسيرة .. ويدخل الشاب بفتاته على سنة الله ورسوله .

وقد تكون الأم أو الأب لأي من الزوج والزوجة من نتاج طائفة من الطوائف الضالة التي عرضنا لها ، وتصبح السيطرة والقوامة لأحد هؤلاء الآباء أو الأمهات ، أولا لهم مجتمعين على هذا البيت الجديد ، وكل منهم يزود أحد

الزوجين بتعاليم وألوان من السلوك قد تختلف مع ميولها، ولكن عاطفة الأبوة والأمومة قد تتغلب، فيسلك الزوج أو الزوجة في البيت على هدى الآباء والأمهات، وتسيطر الأفكار البالية على عروسين قد يكونان مرتبطين برباط الحب، وينقل الآباء والأمهات معركتها الشخصية الى البيت الذي يعيش فيه أبناؤهما، والكارثة حينئذ معروفة لا تحتاج الى بيان.

ومن هذا النوع طائفة لا يتدخل آباؤهم ولا أمهاتهم في حياتهم، ولكن الزوجة تتطلع الى من فوقها من مثيلاتها، وتريد زوجها على أن يزودها بمثل ما يتمتعن به في حياتهن من وسائل الحياة.. فهي من ورائه ترهقه، وهو يكدح ليله ونهاره، وقد يفي لها بما تريد، وقد لا يستطيع، فيكون النزاع والوجوم.

وتستهلك طاقة الزوج في ارضاء نزوات الزوجة المخلصة الجامحة النازعة الى ما هو فوق.. ويهمل الزوج مرغما كارها في واجباته الزوجية الخاصة، بعد ما أعياه العمل الدائب، والجهد القاتل، وتبدأ النفوس ترعى عقدها بالنماء والاستعصاء.

ولكن هذه العقد سهلة الحل اذا أسعفت بالعلاج من بدايتها.

والعلاج الشافي لهؤلاء الزوجات الصالحات: أن يعلمن أن السعادة لا يمكن مطلقا أن تأتي من خارج الانسان، فكل من اعتقد أن سعادته مرهونة بما يضفي على ذاته من اللباس الفاخر، وما ينفقه من مال وفير على مظهره فهو مخطىء كل الخطأ.

وانما تنبع السعادة من داخل الانسان.. من التقييم الحقيقي للمشاعر والأحاسيس، والتقييم الحقيقي للمتاع الزائل. فالحب دائم و « تسريحات الشعر » زائلة بعد يوم أو بعض يوم، والأثاث الفاخر صائر الى البلى،

واللباس الفاخر متغير « الموضة » بعد قليل كما خطط شياطين الانس، المخربون لكل عمران، الهادمون لكل دائم من المشاعر والأحاسيس.

وقوة الزوج وسلامة نفسه وجسده لا تأتي الا من راحته، وانما ارهاقه يعجل بشيخوخته، ويحرم الزوجة متاع الفطرة.

والرضا كنز السعادة الذي لا يقدره الا أهل العقل السليم، والسخط على المقسوم من الرزق بلاء وهم مقيم لا يزول، ولا يشبع صاحبه مهما أوتي من المزيد بعد المزيد.

ونظر الانسان الى من دونه هو السعادة العظمى، والأمل في الله وحده هو القوة التي لا تقهر.. وتصديق وعده سبحانه هو الاكسير الذي افتقده الناس.

﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ (النور: ٣٢). هكذا يقول الله تعالى، وهكذا فعل مع الراضين المؤمنين.. ولكن بعض الزوجات لا يصدقن الله، ولو شغلن أنفسهن بالتأمل في المجتمع لوجدن المئات من الأمثلة على صدق الله تعالى في وعده للراضين الخاضعين المتوجهين الى شرع الله بالاجلال والالتزام.

ومنهم: من قدر الحياة الزوجية حق قدرها، وكان آباؤهم من عقلاء الآدميين، ولم ترعهم من تبعات الزواج فادحة، ولكن أحد الزوجين يعتبر الانطلاق والحرية النفسية والجسدية في الممارسة الجنسية ومقدماتها عيبا لا يليق، ولا يتفق مع ما نشأ عليه من الاحتشام والبعد عن فاحش القول والعمل.

ولا ضرر اذا اتفقا على هذا المسلك، ولم يختلفا، ولكن الكارثة تحدث حينما يريد أحد الزوجين الحرية، ويريد الآخر الانكماش في العلاقة الجنسية، فان طالب الحرية، والراغب فيها، ان لم يجد عصمة من دين، ولا مقاومة من

نفس، فانه متدهور بالضرورة في وحل الرذيلة.

الحصاد المشؤوم:

والحصاد المشؤوم للخطأ في أداء العلاقة الجنسية بين الزوجين، وللخطأ في فهم القيمة الشرعية للزواج - أكثر من الحصاد المبارك دون نزاع.. وان لم يكن الحصاد المشؤوم أكثر في هذا العصر، فهو على الأقل حصاد يهدد مجتمع الاسلام بالفصام والتحلل.

ونحن نؤكد أن حصاد الشؤم غالب على حصاد الخير والبركة لأسباب وأدلة نأخذ بها اذا قسنا قيمة الشيء بنتائجه الظاهرة حينما يتعذر علينا اجراء بحث ميداني بين الأزواج والزوجات، لنقيس العلاقة على طبيعتها:

١ - انعدام المودة والرحمة بين أفراد الأسرة الواحدة أو ضعفها سمة غالبة في الأسر على مستوى العالم الاسلامي كله.. فهناك جرأة الأبناء على الأبوين، والتنافر بين الأشقاء، بل ووقوع جرائم القتل بينهم لأسباب مادية تافهة، وذلك دليل على أن العلاقة بين الزوجين لم تكن كما أراد الاسلام، ومن ثم لم يكن من نتائجها المودة والتراحم بين أعضاء الأسرة الواحدة.

٢ - مجموع المفترقين بالطلاق، والمتنازعين غير المطلقين، والكارهين المقيمين على مضض ومعاناة يغلب على مجموع السعداء الذين لا تشكل الخلافات بينهم مشكلة.

٣ - شيوع البغاء، وكثرة المقبلين على بيوت الدعارة السرية من المتزوجين.

٤ - شيوع الأمراض النفسية المسببة عن قلق الحياة الزوجية بين الأزواج والشباب، مثل الاكتئاب، والقلق، والنورستانيا، والشيزوفرينيا.

٥ ـ انتشار المخدرات والعقاقير الجنسية بصورة تشكل ظاهرة خطيرة، لا سيما في بلاد البترول.

٦ ـ هروب الأزواج من بيوت الزوجية الى المقاهي والأندية الليلية، والتسكع في دور الخيالة والمسارح، وغياب الرقابة على الأبناء، ومشاركتهم بالمساعدة للوصول الى مستقبل أفضل.

٧ ـ وانطلاقا من كل ذلك: تحلل الروابط بين العشائر، وتدهور فضيلة صلة الأرحام، والتكافل الاجتماعي.

٨ ـ تدهور الروابط الأخوية بين الشعوب الاسلامية، وعدم التئامها الا لفترات خاطفة ما تلبث أن تزول، ويعود التناحر والتآمر بينهم.

هذه هي بعض ظواهر الحصاد المشؤوم الناشيء من أخطاء العلاقات الزوجية الصحيحة بين الزوجين في البيت الواحد.

ولو كانت العلاقات الزوجية لباساً للزوجين وسكنا كما أرادت شريعة الاسلام، لكانت المودة والتراحم في البيت الواحد نبعا فياضا غزيرا ينطلق في قوة الى العشيرة والمجتمع، ثم عالم الاسلام كله.

وبمقارنة بسيطة بين الجيل الجديد والجيل الماضي أوائل هذا القرن ندرك تلك الحقيقة واضحة ساطعة.

فالحقوق الزوجية في الجيل الماضي كانت مرعية على قدر كبير من الدقة والاحترام، ولهذا كان الأب هو سيد البيت، وكانت الأم راعية الأبناء، وكان كل فرد في الأسرة يعرف مكانه فلا يتعداه الى غيره من أماكن القيادة، ولهذا كانت صلة الأرحام والتكافل الاجتماعي قوة قاهرة لكل عوادي الزمان، وجحافل الإلحاد.

كان لكل أسرة عميد مسموع الكلمة بين أفرادها، وكان يتجاوز مكانه في بيته الى أماكن رجال عشيرته مرشدا وناصحا ينشر لواء الحب بينهم، ويقضي على منازعاتهم بعيدا عن ساحات القضاء.

أما الجيل الحاضر فان الأب في بيته لا يستطيع صد هجوم ولد على سلطته، ان لم يتهمه الولد بالسفه وسخافة الرأي.

من هنا كانت الثقافة الزوجية لا تعني شروط العقد والوليمة وخطبة العقد والدعاء للعروسين وما أشبه ذلك من أحكام الفقه، وانما تعني الثقافة الجنسية المقصودة من الزواج بالدرجة الأولى مهما حاول المضللون أن يستروها بستار من الأدب الكالح.

لقد ارتفعت أصوات كثيرة تدعو الى الثقافة الجنسية، وعارضتها أصوات، ولكننا نؤيد فكرة الثقافة الجنسية للزوجين في ضوء الكتاب والسنة، بل وندعو الى أن تكون جزء من مناهج التعليم في بلاد الاسلام، حتى نجنب الأجيال مزيدا من جيوش الفتنة والغواية، وننأى بها عن مزيد من التقاطع والتدابر والتناحر، لأننا كما قلنا ونعيد القول: نؤمن بأن المودة والرحمة المنشودين لمجتمع الجسد الواحد الاسلامي يبدآن من البيت، ولا ينبعان الا من بين زوجين، ولا يمكن أن يتأصلا بين زوجين الا من خلال علاقة جنسية ناجحة كما حدد منهجها الاسلام.

★ ★ ★

وان التأمل الدقيق والواسع في تشريع الاسلام يؤكد الأهمية القصوى لهذه العلاقة في بناء مجتمع الاسلام.

فلا ينكر مسلم أن الاسلام من دون الشرائع هو الذي شرع أخوة الانسان للانسان في قوله ﷺ: «وكونوا عباد الله اخوانا». وأخوة الانسان للانسان لا يمكن أن تنبت من فراغ بل أن أرضها التي تنبت منها هي مجتمع المسلمين:

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠). ويقول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم» وقد ربط الرسول عليه الصلاة والسلام حب المسلم لأخيه بالايمان فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقال «لا تؤمنوا حتى تحابوا».

ولا ينكر مسلم أن المقصد الرئيسي من ارسال سيدنا محمد ﷺ الى الناس جميعا انما هو «الرحمة بالعالمين». فقد أعلن الله ذلك فقال: **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾** (الأنبيا: ١٠٧). وأقر الرسول ﷺ بذلك فقال: «انما أنا رحمة مهداة». وقرر الله تعالى أن من سمات مجتمع الاسلام سيادة صفة «التراحم» فقال في وصفهم: **﴿رحماء بينهم﴾** (الفتح: ٢٩).

ولما كان التواصل والمودة بين المؤمنين من أسباب تأصيل خلق الرحمة بينهم فقد أمر الله بمواصلة الأرحام في قوله تعالى: **﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾** (النساء: ١) وقال في الحديث القدسي: «خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته». فوعد المتوادين المتراحمين بالوصلة الإلهية والنصرة في كل أمر، وتوعد القاطعين للأرحام المتنافرين بينهم بالقطيعة والخذلان. وجعل الفساد في الأرض قرينا لقطع الأرحام فقال: **﴿فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** (محمد: ٢٢).

وهنا تبرز صفة جديدة لمجتمع المؤمنين هي «المودة» الى جانب «الرحمة». وهما الصفتان اللتان أعلن الرسول ﷺ أنهما من أسباب وحدة المشاعر والأحاسيس بين المسلمين في أرجاء الأرض كلها فقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

والى هنا ما زال السؤال قائماً: هل تنبت المودة والرحمة اللازمتان لقوة مجتمع الاسلام، والمرتبطتان بعقد الايمان من فراغ؟

معاذ الله، وانما المنبع الأول، والبذرة الأولى، والأرض الطيبة التي تضرب المودة والرحمة بجذورها فيها هي: بيت الزوجية الاسلامية. وقد أعلن الله تعالى هذا الأصل في قوله:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١).

مودة ورحمة بين رجل مقصور على زوجته، وزوجة مقصورة على زوجها.. ولا يشترك في هذه المودة والرحمة ابتداء غير الأبناء حتى تصبح خلقا راسخا. ثم من البيت كله الى الأرحام، ثم الى رحم الاسلام كله، ثم الى عقد الايمان أولا وأخيرا.

ونعود فنقول: لا يمكن أن تنبت المودة والرحمة بين الزوجين الا من خلال السكن كما قرر خالق الزوجين.. والسكن لا يكون الا من نجاح تجربة الاتحاد بين الزوجين وكأنهما شخص واحد، وما الاتحاد الا في علاقة جنسية تغمرها العاطفة الرقيقة من الجانبين.

والذين يجردون الاسلام من شرف العناية بالعلاقة الجنسية بين الزوجين يجردونه من شطر هائل من تشريعاته.

فقد قصر الاسلام كلا من الزوجين على الآخر.

وأمر الرجل والمرأة بغض البصر وحفظ الفرج الا عن الحلال.

وأمر الزوجات بالقرار في البيت، وبالحجاب عند الخروج.

وشرع أقسى الحدود للزناة والزانيات.

وحرم الخلوة بين ذكر وأنثى الا لذي محرم أو زوجين.

وفي الوقت نفسه فجر طاقة الجنس في كل من الرجل والمرأة.

وحدد طريقاً واحداً لاشباعها وإروائها هو الزواج.

فهل يكون زواج بلا علاقة جنسية؟ وهل تغني أي علاقة في سكون الكيان البشري من الاضطراب؟ وهل يمكن أن تستقر تلك التشريعات دون معاشرة زوجية؟.

لا.. بل ان الاسلام بعظمته أراد بناء انسان متكامل جسدياً وعقلياً وعاطفياً، بريء من غوائل الكبت والحرمان في أي من هذه النواحي، حتى يتكامل عمله في بناء مجتمع الاسلام، وعلى طريق دعوة الاسلام.

وانسان قوي الجسد مضطرب العواطف ناقص أو مفسد في الأرض.

وانسان متطلع الى الشهوات خارج بيته مفسد في الأرض لا محالة.

وقد يقول قائل: ان مجتمعات الغرب لا تعير هذه العلاقة اهتماما يذكر، وهي مجتمعات ناجحة متقدمة سابقة في العلم والاختراع.

ونقول: ان هذه المجتمعات لم تفقد غرائزها، ولكنها فقدت قصرها على بيت الزوجية، وفقدت كذلك قصر عواطفها على الزوجات، بل تركت غرائزها وعواطفها متحررة من كل قيد ومن كل عرف، حتى أصبح التهتك أصلا، والعفة مرضا نفسيا تعالج منه الفتيات.. وأقرب الأمثلة على ذلك أن امرأة انجليزية عرضت ابنتها البالغة من العمر ثلاثة عشر عاما على طبيب نفسي لأنها لم تصادق أحدا من الشباب.

فمن أين لمجتمع مثل هذا أن يعير هذه الغريزة أي اهتمام في بيت

الزوجية؟

ونعود الى القول: ان مجتمع الرسالة الخاتمة هو الذي يجب أن تقاس به المجتمعات، وليس العكس.. ومجتمع الاسلام ما زال مكلفا بالجهاد **﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾** (الأنفال: ٣٩). بينما نسخت الشرائع التي تقوم عليها هذه الأمم.. وشريعة الاسلام شمولية في كل شيء.. شمولية في مسطح الدعوة.. شمولية في استخدام كل المواهب والمدارك.. شمولية في الأخوة الانسانية انطلاقاً من الأخوة الاسلامية.. وليس كذلك شعب من تلك الشعوب التي يتحدث عنها المعترضون.

★ ★ ★

اننا لم نبتدع شيئا جديدا عن نصوص الاسلام في الكتاب والسنة، ولم نكلف الانسان جديدا من التكليف لم يشرعه الله، ولم نحاول بعث عاطفة لم يدع الاسلام الى بعثها واحيائها داخل بيت الزوجية، وانما ندعو المسلمين الى استخدام ما أمرهم الله باستخدامه من العقل والوجدان وطاقات الجسد الأخرى لبناء الأصلين اللذين يقوم عليهما مجتمع الجسد الواحد ابتداء من اندماج زوج وزوجة في كيان واحد على طريق الازدواج المشروع.

فان لم يفعلوا فقد كفروا نعمة الله وستروها عن الظهور، وما نعمة الله المكفورة الا المودة والرحمة اللذان ربطهما رسول الله ﷺ بعقد الايمان نفسه. ولعل هذا هو السبب الرئيسي في عناية المستنيرين من العلماء بهذا الموضوع، اما في موضوعات متناثرة كلها لا تخرج عن اطار الكتاب والسنة، كالامام الغزالي، والسيد مرتضى الحسيني الزبيدي، وابن الجوزي، وابن الحاج، ومحيي الدين بن عربي، وعبد الغني بن اسماعيل النابلسي، والأخيران قد ارتفعا بموضوع التزواج الى ما وراء المنظور من الكون في كتاب «النكاح المطلق» لابن عربي، و«شرح الطريقة النقشبندية» للنابلسي.

واما في كتب مستقلة، كما فعل الامام الحافظ أبو الفضل جلال الدين السيوطي في كتابه « رقائق الأترج » و « الايضاح » و « شفاء الغليل » و « مقامة العلماء » وكلها مخطوطة لم تطبع.

وفق الله أمة الاسلام الى طريقها من بدايته، وحقق لها نهايته.. انه سميع مجيب الدعاء.

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة